Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

The Usage Situations of the Words: (Kasaba) and (Khasira) in the Qur'anic Composition: A Rhetorical Study

Sami S. Yahya Alghamdi
Arabic Department, College of Arts and Humanities, Bisha University, Saudi Arabia.
ssalghamdi@ub.ed

Received: 26-1-2025 Revised: 15-2-2025 Accepted: 9-4-2025 Published: 27-4-2025

DOI: 10.21608/jssa.2025.355637.1699
Volume 26 Issue 3 (2025) Pp. 80-105

Abstract

This research tackled the contextual usage of the two lexical items: (kasaba) and (khasira) in the Quranic verses with the aim of analyzing them rhetorically and eliciting the conditions and situations of lexical items similar to them. Moreover, to perceive the meanings of the their structures, the hidden secrets of rhetoric in every situation from a contextual perspective. Moreover, to understand the contextual situations of the verses, the Quranic story, and the beginning, stem, and conclusion of the verse; in order to enrich the aesthetic aspects of the Quranic verse. This study followed the inductive and deductive approaches. According to the nature of the research, it is divided into an introduction, a preface that manifests the linguistic meanings of the two words: (kasaba) and (khasira), and two chapters; the first discusses the contextual situation of the word (kasaba), and the second is devoted to the word (khasira) in the Quranic verse.Then, a conclusion that depicts the most significant findings and recommendations, along with the sources and references. Some of the most contributive findings are: A statement of the greatness of Almighty Allah and His absolute power, besides the preaching role of the lesson attained from the Quranic stories, Warning against the actions of polytheists and infidels in the context of threats, and caring for and looking after the believers in the context of guidance, instruction, and preaching, and clarifying the obligatory rulings.

Keywords: Contextual situations – Kasaba – Khasira - Quranic system, rhetoric

المقامات الاستعماليّة لمادّتي: (كَسَبَ) و(خَسِرَ) في النَّظم القرآني: دراسة بلاغيَّة

د. سامي بن صالح يحيى الغامدي
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة بيشة، المملكة العربية السعودية
ssalghamdi@ub.ed

المستخلص:
ناقشتْ هذه الدّراسة المقامات الاستعمالية لمادّتي: (كَسَبَ) و(خَسِرَ) في النَّظم القرآني، وتحليلهما تحليلًا بلاغيًا؛ وسبر أحوال أصحابها وحالات كسبهم وخُسرانهم، والوقوف على دلالات التَّراكيب، وأسرار البيان، ونكات البديع في كل مقام، مع الاستعانة بالسّياق، ومنازل الآيات، والقصّة القرآنيّة، ومطلع الآية وجسمها وخاتمتها؛ إثراءً لجماليات النَّظم القرآني. اتّبعَ البحث المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّمَ إلى مقدمة، وتمهيد يُوضِّح المعاني اللّغويّة لمادّتي: (كَسَبَ) و(خَسِرَ)، ومبحثين: يتحدَّث الأوّل منهما عن مقامات مادة (كَسَبَ)، واختصّ الثّاني بمقامات مادة (خَسِرَ) في النَّظم القرآني، تلتهما خاتمة أبانَت أبرز النّتائج والتوصيات، وثبت للمصادر والمراجع. ومن أهمّ النّتائج الّتي تُوصّلَ إليها: بيان عظمة الله تعالى وقدرته المطلقة، وتحقّق العبرة من القصص القرآني، والتّحذير من أفعال المشركين والكافرين في مقام الوعيد، والعناية بالمؤمنين ورعايتهم في مقام التَّوجيه والإرشاد والوعظ، وإيضاح الأحكام التَّكليفيّة.

الكلمات المفتاحية: المقامات الاستعمالية، كَسَبَ، خَسِرَ، النَّظم القرآني، بلاغيَّة.

المقدّمة

الحمد لله وحده، والصّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده وعلى آلهِ وصحبهِ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فإنّ القرآن الكريم هو دستور الأمّة الخالد الّذي ستظلّ تَنْهَل منه إلى قيام السَّاعة، وقد نزل بلغةٍ عربية فصيحة مختارة لتكونَ وعاء بيانه، ومستودع إعجازه، أمدّه الله -جلّ جلاله- بخصائص ذاتيّة انفرد بها في حروفه، ومفرداته، وتراكيبه، فيتمكّن من تحمُّل ما يجعله الله فيه من أسرار حكمته، وما يُشيعه فيها من أنوار هدايته، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:29]، ثمّ وَهَبَ –جلّ جلاله- لأهلِ اللُّغة والبيان معرفةً تُمكّنهم من الولوج في خصائص النَّظم القرآني، لاستنباط ما يهيدهم الله إليه من عجائب أسراره، وبدائع دلائل إعجازه، وإشارة الإمام الخطَّابي في قولِه: «واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزًا لأنَّه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التَّأليف، مضمّنًا أصحَّ المعاني»[1] جعلت دارسَ البلاغة القرآنيّة يتبيَّن ذلك ويقف عنده.

وانطلاقًا من أهمية الوقوف على أسرار مفردات النَّظم القرآني بمعونة البلاغة ووظائفها؛ فقد وفّق الله تعالى الباحث لتناول ظاهرة دلاليَّة تخصُّ بعض مفردات النَّظم القرآني المتضادّة في المنطوق، وقد تشترك وتترادف في وصف أصحابها بضدّها في المفهوم، فكان عنوان بحثه: المقامات الاستعماليّة لمادّتي: (كَسَبَ) و(خَسِرَ) في النَّظم القرآني: دراسة بلاغيَّة، وهو دراسة لمفردتين ودلالتهما الحاليَّة والمقاميَّة في الكَسْبِ والخُسران، ومنازلهما داخل السّياق، فلا قيمة للمفردات ما دامت بعيدة عن سياقاتها، وبالتّالي سيستنطق البحث صيغ المادّتين ودلالاتهما، ويستجوب العناصر السِّياقيّة والمقاميّة؛ لترفد إلى مرامات النَّظم القرآني وهداياته، وتبرز لطائفه الإعجازيّة ونكاته البيانيّة، وتكشف تأثيره في المخاطبين.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره في الآتي:

1 - تنوَّعت مادّتا (كَسَبَ)، و(خَسِرَ) بين الأسماء ومصادرها، والأفعال وأزمنتها، مما يُغري بتعدّد الدّلالات الصّريحة والضّمنية؛ لتنهض بمقامات المادّتين وَفق المعاني والبيان والبديع، فتتجلّى المزايا البلاغيَّة والنّكات البيانيّة، لتقف على أسرار ذلك التَّنوع اللّغوي والصّرفي.

2 - التَّناوب بين أزمنة الأفعال وصيغ الأسماء في الآية القرآنيّة، يوحي إلى دقّة مقامات اللّفظة القرآنيّة للمادّتين، ومناسبة اختيار كل مفردة، وموضعها الّذي وَرَدَتْ فيه.

3 - التَّناغم الدّلالي بالتَّضاد بين مادّتي: (كَسَبَ)، و(خَسِرَ)، فالكاف والسّين والباء حروف أصليّة، تدلّ على الابتغاء، والطّلب، والإصابة، والإفادة، والحصول، والتّحمُّل، وفِعل الإثم. وأما الخاء والسّين والرّاء فأصليّة أيضًا تدلّ على الإضاعة والإهلاك، وفقد ما يملك، وغير ذلك من معانيهما اللُّغويّة الّتي سيوضّحها الباحث -إن شاء الله- في التّمهيد، ومع هذا التَّضاد الصّريح بينهما فإنَّ المعاني الدّلالية لـ(كَسَبَ) عندما يسبقها نفي أو تذكر كسب أعمال الكافرين والمشركين والمنافقين بفعل الإثم وتحَمُله، تكون مرادفة ضمنية لـ(خَسِرَ)، وهذا التّلاؤم المعنوي والتّناسق الضّمني بينهما حتمًا سيُثري هذا البحث بمعية التَّفتيش وراء هدايات النَّظم القرآني، وأسلوبه الّذي لا مثيل له.

([1]) الخطابي، حَمْد بن محمد، "بيان إعجاز القرآن". ضمن "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني". تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، (ط5، القاهرة: دار المعارف، 2008)، ص27.

4 - مجيء مادة (كَسَبَ) في النَّظم القرآني في أكثر من ستين موضعًا، وأكثر من خمسين آية، وأكثر من عشرين سورة، بينما أتت مادّة (خَسِرَ) في أكثر من ستين موضعًا، وأكثر من خمسين آية، وأكثر من ثلاثين سورة، وهذه الكثرة المتنوّعة ستُثري المعاني بسياقاتها ومقاماتها المختلفة، وسيُحصي الباحث عددها بدقة -إن شاء الله- في مباحث الدِّراسة.

5 - التَّساوق بين المادّتين للدّلالة على المجاز عند استعمالها في غير ما وضعتا له في الاستعمال اللّغوي، يُبرز الخصائص البيانية القرآنيّة، وتتكوّن المعاني بتلبُّسها بالنَّظم القرآني وقرائن الأحوال والمقال؛ لإثراء جماليات هذا النَّظم القرآني، وسماته الأسلوبية الدّقيقة.

6 - تطاوع العلاقات بين التقليبات المعجميّة، والصّوتيّة، وتعدّد الاشتقاقات، والدّلالات للأسرة اللُّغويّة لمادّتي: (كَسَبَ)، و(خَسِرَ).

7 – التَّأمل في النَّظم القرآني في ضوء سياقاته المقاليَّة والحاليَّة يقود إلى التَّدبُّر.

8 - النَّظم القرآني ليس في مرتبة واحدة في الدّلالة والوضوح، فمنه المجمل، ومنه المُشكِل، ومنه المحتمِل، قال ابن القيم: «السِّياق يُرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوُّع الدّلالة، وهذا من أعظم القرائن الدَّالة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان:49] كيف تجد سياقه يدلّ على أنَّه الذليل الحقير»[1]، وتلك الأنواع ونظائرها تحتاج إلى ما يُساعد على بيانها، فالقرائن والسّياقات بأنواعها من أعظم ما يدلّ على معانيها.

الدراسات السّابقة:

مع تعدُّد الدّراسات البلاغيَّة السّابقة للمفردة القرآنيّة، ودلالتها اللُّغويّة، غير أني لم أعثر-على بحثي- على دراسة اهتَّمت بـالمقامات الاستعمالية لهاتين المادّتين: (كَسَبَ)، و(خَسِرَ)، في دور النشر ومراكز الأبحاث ومحركات البحث، وما وجِد من دراسات فقد تناولت ألفاظ النَّظم القرآني عامّة، وهي على النَّحو الآتي:

أ. دراسة لمشاعر بشير علي، عنوانها: "الخسران في ضوء القرآن الكريم" مجلة الدّراسات الإنسانية جامعة الملك خالد(ISSN: 2663-7197)، والدِّراسة ليست بلاغيَّة، بل تناولت التّفسير الموضوعي وأقوال المفسّرين، وتعريف الخسران وأسبابه والنَّجاة منه.

ب. دراستان لمحمود موسى حمدان، طُبعتا في القاهرة في مكتبة وهبة، الأولى عنوانها: "الإتيان والمجيء" فِقْه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، (الطّبعة 1)1998م، والثانية عنوانها: "العلم والفِقه والمعرفة" فِقْه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، (الطّبعة 1)2002م.

ج. دراستان للدّكتور عبد المجيد الصَّاعدي، الأولى عنوانها: "دلالات مادّتي (حَسُنَ) و(سَاء) في النَّظم القرآني" أطروحة دكتوراه بقسم الأدب والبلاغة، بكلية اللُّغة العربية بالجامعة الإسلامية، وخلُص إلى تنوّع صيغ تلك المواد بين الأسماء والأفعال، وورود الأساليب البلاغيَّة فيها، والثانية عنوانها: "التَّوظيف البلاغي لمادّتي: (شرى) و(بَدّل) في النَّظم القرآني" بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للُّغة العربية وآدابها – العدد: 4/ الجزء:1، وخلُص إلى توظيف المادّتين في مقامات متنوّعة، والاتّفاق في دلالات عامّة.

وغيرها من الدّراسات الّتي تناولت ألفاظ النَّظم القرآني، مع الاختلاف الجليّ في تحديد تلك الألفاظ، وطبيعة دراسة المعاني البلاغيَّة في مقاماتها الّتي وَرَدَتْ فيها، وبذلك يتّضح عدم وجود دراسة سابقة تناولت مادّتي: (كَسَبَ)، و(خَسِرَ) في النَّظم القرآني، ومن هنا سَعى هذا البحث لتناول المقامات الاستعماليّة للمادّتين في النَّظم القرآني بمعونة السّياقات، وكان سببًا مُلِّحًا لاختيار هذا الموضوع بالتّعيين.

([1]) ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر، "بدائع الفوائد". تحقيق: علي بن محمّد العمران، (ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1425هـ)، 1314/4.

منهج البحث:

اقتضتْ طبيعة الدِّراسة أن تقومَ بمنهجين؛ هما: المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، وأما منهجية ترتيب الآيات المعنية بالدِّراسة، فقد رُتبت وَفقًا للمقامات الخمس المختارة، مع مراعاة ترتيب المصحف الشّريف تحت كلِّ موضوع، ولم يكن ذلك على وجه الاستقصاء لجميع الآيات الكريمة، ولكن على سبيل دراسة نماذج منها، وانسجامها مع طبيعة الأبحاث العلمية إيجازًا وإجمالًا.

خطّة البحث:

يحتوي البحث على مقدّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وَفق التَّصوُّر الآتي:

مقدمة: في أهمية البحث وأسباب اختياره، والدّراسات السّابقة، والمنهج، والخطة.

تمهيد: ناقَش المعاني اللُّغويّة لمادّتي: (كَسَبَ)، و(خَسِرَ).

المبحث الأوّل: في مقامات مادة (كَسَبَ) في النَّظم القرآني، وذلك في عدة مطالب: مقام عظمة الخالق في الكون وقدرته، ومقام القصص القرآني، ومقام الوعد والوعيد، ومقام التّوجيه، والوعظ، والإرشاد، ومقام الأحكام التَّكليفيّة.

المبحث الثاني: في مقامات مادة (خَسِرَ) في النَّظم القرآني، وذلك في عدة مطالب: مقام عظمة الخالق في الكون وقدرته، ومقام القصص القرآني، ومقام الوعد والوعيد، ومقام التّوجيه، والوعظ، والإرشاد، ومقام الأحكام التَّكليفيّة.

ثمّ خاتمة بأهمّ النَّتائج الّتي توصَّل إليها البحث والتوصيات، وفهرس المصادر والمراجع، وملحق (الآيات القرآنيّة) مصدر الدِّراسة.

ومـــــن اللهِ أستمدُّ العون والرَّشاد، والتَّوفيـــــق والسَّداد

التَّمهيد: المعاني اللّغويّة لمادّتي: (كَسَبَ) و(خَسِرَ)

أولًا- دلالة مادّة (كَسَبَ):

تتألّف مادة (ك س ب) من ثلاثة أحرف أصليّة كما قال ابن فارس[1]، وتدلّ معجميًّا على معانٍ متعدِّدة ودلالات متنوّعة، بحسب تجرّدها من أحرف الزّيادة أو اقترانها بضمير، فجاءت مجرّدة من حروف الزّيادة لتدلّ على الابتغاء والسّعي في طلب الرّزق والعمل له، وجمع المال وتحصيله، كما أنَّ طلب الولد يُعَدُّ كَسْبًا، ففي الحديث الشّريف: «إنَّ أطْيَبَ ما أكَلَ الرَّجلُ مِن كَسْبِه، وإنَّ ولَدَه مِن كسْبِه»[2]، فوالداه سَعَيا في تحصيله بالزّواج. وتدلّ أيضًا على الحرث؛ فالحارث كاسِب، كما أنّها تعني أصاب. وأمَّا عند زيادتها كما في: (أكسبت)، فالهمزة تُعدِّي دلالتها إلى المخاطب إلى مفعولين، فتقول: "أكسبتُ عمرًا أموالًا" لتدلّ على إعانة عمرو في تحصيل المال ونيله، وفي إضافة التّاء في أولها (تَكْسِبُ) قول خديجة -رضي الله عنها-: «وتَكْسِبُ المَعْدُومَ»[3]، فأرادت أنَّ النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- يصل بعطائه لمن لا يجده إلّا عنده، و(اكتسب) بزيادة الألف والتّاء تدلّ على الاجتهاد والتّصرف، وتدلّ (تكسّب) أو (كسَّاب) بتضعيف السّين التّكلُّف على بذل الجهد[4].

وتناول الرَّاغب الأصفهاني الفرق الدّلالي بين مادّتي: (كَسَبَ) و(اكتسبَ)، فالأولى بالنَّظر إلى ما يكون للصّالح، والثّانية للسّيئ، أو أنّ (كَسَبَ) ما يتحرّاه من مكاسب الآخرة كالجنَّة مثلًا، و(اكتسب) ما يتحرّاه من

([1]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، (دط، دمشق: دار الفكر، 1979م)، 5: 179.

([2]) الطبراني، سليمان بن أحمد، "المعجم الأوسط". تحقيق: طارق بن عوض الله، (دط، القاهرة: دار الحرمين، 1415ه)، 4: 380.

([3]) البخاري، محمد بن إسماعيل، " الجامع الصحيح". (ط1، القاهرة: دار الشعب، 1987م)، 1: 3.

([4]) ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب"، 1: 716، 2: 134.

مكاسب الدُّنيا كالجاه والمال، وقد يكون (كَسَبَ) ما يفعله الإنسان لغيره من نفعٍ وخير، و(اكتسبَ) ما يحصِّله لنفسه من نفع[1].

أمّا دلالة (ك س ب) اللُّغويّة في النَّظم القرآني، فجاءت بمعانٍ متنوعة، فتدلّ على الكَسْب الطّيّب في قوله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: 267]، وتدلّ على فعل الخير والصّالحات في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158]، وتدلّ أيضًا على عمل الخطايا واجتراح الآثام في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقال الإمام الطّبري: «مما يعملون من الخطايا، ويجترحون من الآثام، ويكسبون من الحرام»[2]، وتدلّ كذلك على الوقوع في الإثم والسَّيئات[3] في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [الأنعام:70]، كما تدلّ أيضًا على تحمّل الإثم والوزْر مجازًا[4]، وتدلّ أحيانًا على الجرْم والذّنب، قال الفرّاء: "وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب وجَرَّمته"[5].

يتّضح ممّا سبق أنَّ مادة (كَسَبَ) تدلّ على ارتكاب الإنسان واجتراحه ما حرم عليه، وجرم حدودًا مُنع من طلبها فتجاوزها، وتحمّل وسعى لطلب الآثام، وغير ذلك من الدّلالات الدقيقة، الّتي ستتضح في التَّحليل والاستنباط، وَفق كل مقام يستدعي المعاني وسياق يطلبها.

ومما هو جدير بالذكر؛ فإنَّه لم ترد في النَّظم القرآني الأسماء من مادة (ك س ب)، كـ (الكاسِب) أو (الأكسب). أمَّا الأفعال؛ فوَرَدَتْ منها أفعال ماضية ومضارعة فقط، فلم يرِد منها أفعال الأمر كـ(اكسب) أو (ليكسب)، والفعل كما هو معلوم يدُلّ على حدثٍ مقترن بزمنٍ، فأمّا الماضي، فجاء منه: (كَسَبَ) المجرَّد، و(كسبتم) المتَّصل بتاء الفاعل، و(كسبتْ) و(اكتسبتْ) الملحقان بتاء التَّأنيث السَّاكنة، و(كَسَبَا) المتَّصل بألف الاثنين، و(كسبوا) المتَّصل بواو الجماعة، وأمَّا المضارع فمنه: (يَكْسِبُ) و(تَكْسِبُ) المجرّد، و(يكسبه) الّذي اتصلت به هاء الغائب المذكّر، و(يكسبون) و(تكسبون) الّذي اتصلت بهما واو الجماعة.

ولا شكَّ؛ أنَّ تَعدُّد الأفعال المذكورة دون غيرها، واختلاف هيئاتها باختلاف أزمنتها، مع اقترانها بالمقصد البلاغي؛ المتمثّل في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، سَيُثري العقل وينبِّه الفِكر إلى لفتاتٍ بيانيَّة، ولطائف بديعة في حُسن تركيب النَّظم في الآية والسُّورة.

ثانيًا- دلالة مادّة (خَسِرَ):

تتكوَّن مادّة (خ س ر) من ثلاثة أحرف أصليَّة أيضًا، ويدُلّ معناها اللُّغوي بكلّ تقلباته على النَّقص، ومنه: خَسرتَ الميزان إذا نقصته كما قال ابن فارس[6]، ومن الدّلالات اللُّغويّة: الإضاعة، فتدخل فيها معاني الافتقار والإخفاق، والتّبديد وخيبة الأمل، وفقدان المال والجاه، قال الرَّاغب الأصفهاني: «ويُستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة، كالمال والجاه في الدُّنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النَّفسيّة كالصِّحّة والسَّلامة والعقل»[7]،

([1]) ينظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب، "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق صفوان داودي، (ط1، دمشق بيروت: دار العلم الدار الشامية، 1412هـ)، ص709-710.

([2]) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق أحمد شاكر، (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)، 2: 273.

([3]) ينظر: الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص709، 710.

([4]) الزمخشري، محمود بن عمرو، "أساس البلاغة"، ص648.

([5]) الفرّاء، يحيى بن زياد، "معاني القرآن". تحقيق مجموعة من المحققين، (ط1، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، د ت)، 2: 8-9.

([6]) ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، 2: 182.

([7]) الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص281-282.

ومن دلالات الفعل (خَسِرَ) انتقاص مال الإنسان، ففي الفعل تقول: خَسِرَ فلان إبله[1]، ونُعِتَ الشَّاعر سَلْم بالخاسر؛ لأنَّه باع مصحفًا ورثه واشترى بثمنه عودًا، يغنِّي به ويضرب عليه[2].

وأما دلالة (خ س ر) اللُّغويّة في النَّظم القرآني، فكثُرت دلالاتها المتعدِّدة، فمنها الغبن، قال الفرّاء: «وقوله: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [3] غُبِنهما»[4]، وتدلّ أيضًا على العقوبة وخُسران الأهل والمنزلة في الجنَّة، قال الفرّاء: «وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [5] أي: لفي عقوبة بذنوبه، وأن يخسر أهله ومنزله في الجنَّة»[6]، وتدلّ كذلك على الانتقاص الإيماني والثَّوابي، ومكانته العليّة في الآخرة، فوصفه النَّظم القرآني بالخسران المبين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: 15]، أي المتجلِّي وله تأثير ظاهر[7]، وتدلّ أيضًا على الإهلاك في قوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: 78]، وقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: 85] فتبيَّن يوم القيامة هلاكهم وخسرانهم[8]، وغير هذه الدّلالات العميقة الّتي سيفصح عنها البحث عند الوقوف عليها تحليلًا واستنباطًا على حسب كل آية ومقامها.

وبعد ذكر الدّلالات اللّغويّة نَذكر أنَّ مادة: (خ س ر) تنوّعت هيئاتها في النَّظم القرآني بين الأفعال والأسماء، فأمَّا الأفعال فوَرَدَتْ أفعالًا ماضية كـ (خَسِرَ) المجرَّد، و(خَسِرُوا) المتَّصل بواو الجماعة، وأفعالًا مضارعة كـ(يَخْسَرُ) المجرَّد، و(تُخْسِرُوا) المزيد المتَّصل بواو الجماعة، ولم يرد من مادّة (خَسِرَ) أفعال الأمر، وأمّا الأسماء والمصادر، فجاءت على أشكالٍ متعدِّدة، مثل: (الأخسرون، والأخسرين) على وزنِ: (أفْعَل) التَّفضيل أو صيغة مبالغة، وأمَّا (المخْسِرين) فعلى وزنِ: (مُفْعِل) اسم فاعل من أَخْسَرَ، و(الخاسرين) على وزنِ: (فَاعِل) اسم فاعل، و(تَخْسِير) مصدر للفعل خَسَّرَ، و(خُسْر) على وزنِ: (فُعْل) من خَسَرَ، و(خُسْرانًا) مصدر.

وممَّا سبق يمكن القول: أنَّ دلالات المادّتين اللُّغويّة، وتناوبهما بين أزمنة الأفعال وصيغ الأسماء تتعاظم بها البلاغة الوظائفيّة والدِّلاليّة على أساسٍ دقيق، مما يُرشد إلى براعة منازلهما بين اللّفظة القرآنيّة، ومناسبتهما دون غيرهما من المفردات، فكلّ من المفردتين لهما هداياتها المطلقة والخاصَّة بها، ورُتّبت المقامات بحسب أولويتها العقليّة، من خلال مقام عظمة الخالق في الكون وقدرته، أو مقام القصص القرآني، أو الوعد والوعيد، أو مقام التَّوجيه والوعظ والإرشاد، أو مقام الأحكام التَّكليفيّة؛ لتتآزر مع تراكيب الآية الواحدة وخصائصها، والصِّيغ الصّرفيّة وتقلباتها؛ ليتفرّد مقام ورودهما بدلائل بلاغيَّة وسمات بيانيّة، مع سياق تركيب الجُمل في المقطع والسُّورة، فتتكاثر اللّفتات البلاغيَّة والجمال في النَّظم القرآني.

المبحث الأول: مقامات مادّة (كَسَبَ) في النَّظم القرآني

أسهَم التَّنوع بين الحقول اللُّغويّة في ثراء دلالات مادّة (كَسَبَ) في الآيات القرآنيّة، وتوخّت الدِّراسة سبل بيان المقامات الاستعماليّة لهذه المادّة الّتي جاءت بكل تقلباتها الصّرفيّة في أربعة وستين موضعًا، وثمان وخمسين آية، وخمس وعشرين سورة، وقاد هذا الإسهام إلى هدايات بديعة وإشارات بيانية، تُنبِّه المتدبِّر أنَّ

([1]) ينظر: المصدر نفسه، ص281-282.

([2]) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو، "أساس البلاغة"، ص188.

([3]) الحج: 11.

([4]) الفرّاء، "معاني القرآن"، 2: 212.

([5]) العصر: 2.

([6]) المصدر نفسه، 3: 289.

([7]) ينظر: الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ص281-282.

([8]) ابن منظور، "لسان العرب"، 4/238-239.

هناك ثمّة مقاماتٍ كريمة محكمة، ودلالات ذات تأثير وإقناع، جاءت مصاحبة لطبيعة المادّة اللُّغويّة في تقوية المعنى وتأكيده، وعلى ذلك تآزرت المضامين البلاغيَّة وسماتها وفقًا للمقامات الكريمة، وأصبح تصنيفها على النَّحو الآتي:

أولا- مقام عظمة الخالق في الكون وقدرته:

وَرَدَتْ مادة (كَسَبَ) بصيغها المتنوعة في مقام عظمة الخالق -جلّ جلاله- في الكون وإظهار قدرته المحكمة وبيانها في تسع آيات بيّنات متمثلةً بعض أسماء الله تعالى وصفاته؛ كالوحدانيّة وعلم الغيب، والمغفرة والرَّحمة، والحلم والخلق، والحكم بالعدل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:3].

الآية الكريمة تصف تفرده -جلّ جلاله- بالرُّبوبية والألوهية في السَّماوات والأرض، ومعطوفة على ما قبلها ومرتبطة بقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ (1) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾ [الأنعام:1-2]، فهو الّذي خلق السَّماوات والأرض في ستّة أيام، ثمّ خلق الظُّلمات والنُّور لما فيهما من قوة لمكونات الحياة، وفيه تعريض بأنَّ طريق الضَّلال ظلمات كثيرة، وطريق الهدى والإيمان نور واحد، ثمّ خلق الإنسان من طين وفيه تعريض بأصله، فليس من دواعي ذلك الأصل -المهين- الكفر والكبر والجحود، ففيه تقريع خفي على جهلهم، وتوبيخ ضمني على باطلهم، وفي ذكر هذه الآيات الكريمات تراتبية عقلية للأسبق في المخلوقات، فالّذي خلق النَّاس له قدرة وعلم تمكّنانه من عدم إهمال مراقبتهم، فهو يعلم أحوالهم كلها.

وفي تقديم الضَّمير المنفصل (هو) قصرٌ، وتنصيص بعدم مشاركة أحد من الخلق في أسماء الله وصفاته، فهو المعبود في السَّماوات والأرض ولا إله غيره، وفي ذلك تنبيه باقتضاء علمه بأحوال الخلق كافّة، والأنس والجنَّ خاصَّة؛ لأنَّهم مكلَّفون وبيدهم خيار الطَّاعة وضدها، وفي تكرار العلم بالسِّر والجهر، والعلم بالكسب خيره وشرّه؛ توكيد بربوبيته وأحقّيته بالعبادة، وفي تقديم (سرّكم) على (جهركم) تنبيه للغافل بأنَّ عظمة علمه -جلّ جلاله- تحيط بالإنسان من الخفي إلى الجلي، فعلم الظاهر يشترك فيه من علمه وأدرك حقيقته، وعلم السِّر «دليل عموم العلم، وذكر الجهر لاستيعاب نوعي الأقوال، والمراد بـ(ما تكسبون) جميع الاعتقادات والأعمال من خير وشر، فهو تعريض بالوعد والوعيد»[1]، فعُلم أنَّ بواطن الإنسان وأسرارها لا يعلمها إلا الخالق العظيم -سبحانه-.

يتبيَّن من ذلك أنَّ الله -جلّ جلاله- يعلم سرّ عباده وجهرهم، وفي الجمع بين المعنين المتضادّين: (السَّماوات، والأرض)، وبين: (سرّكم، وجهركم)؛ طباق صريح ومباشر، وترتيب يقود إلى المقابلة، وبهما تتحقَّق إثارة ذهن السَّامعين، وجذب انتباه الكفَّار خاصَّةً لأنَّهم المعنيون بالخطاب، وانتباه المؤمنين على سبيل التَّنبيه والتَّذكير، وفيه تقوية المعنى عن طريق التَّضاد، لكنَّهما أعني السِّر والجهر في جهة الخالق سواء؛ لذا وجبت الرَّغبة فيما عنده من خير، والرَّهبة مما عنده من عذاب، ويحصل ذلك لهم بالإنابة إليه وعبادته والتَّوكل عليه.

وعند التَّأمل في دلالة (تكسبون)، ومجيئها في الآية بمعنى تطلبون وتسعون فيه، وفي جمعها دلالة كثرة المشركين المتعاونين والمشتركين في ذلك الكسب، الّذي تظافر للكسب بالعدد والعدة، وعلى الصّعيد النَّحوي تُعَدُّ (تَكْسِبُون) من الأفعال الخمسة، والفعل المضارع يقع في الزَّمن الحاضر، أي: (تكسِبُون) السَّيئات في وقت نزول الآيات كالكفَّار والمنافقين وأهل الكتاب، أو يقع مستقبلًا لاستمرارية كسبهم -ليلًا ونهارًا- للشِّرك والكفر والنِّفاق، والآثام والسَّيئات، والتَّاء في مقدمة الفعل توحي بأنَّها للمخاطبين المعنيين، «فيعلم ما تعملون

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير". (ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2000م)، 6: 16.

وتجرحون»[1]، وهذه حال الكفَّار والمشركين مع أنبيائهم، فأقوام الأنبياء لا يجنحون إلى الحياء والسِّتر، بل يواجهون المرسلين بالعناد والكفر والجحود، فدلّت (تكسبون) أنَّ من أنكر عبودية الله واستهان بمقام الخالق وقدرته، هم المعنيون بذلك الكسب السَّيئ، والسَّعي في طلبه.

ومما هو جدير بالذّكر فقد ارتبطت دلالة (تكسبون) من جهةٍ بخواتيم الآيات قبلها، فخُتمت الآية الأولى بقوله: (يعدلون)، وخُتمت الثانية بقوله: (تمترون)، ومن جهةٍ أخرى فنهايات الآيات تصف الكفَّار بظلم أنفسهم بمساواة غير الله في الرُّبوبية والألوهية، ونّتيجة ذلك أنَّهم يعبدون أصنامًا وأوثانًا من دون الله، وقد دفعهم إلى هذا الاعتقاد الخاطئ الشكُّ في الآخرة من البعث والجزاء، فأنكروا محاسبتهم على ما اقترفت جوارحهم من خير وشرّ، فدلّ مقام عظمة الخالق في صفة علم الله -جلّ جلاله- «صفتي السّمع والبصر مع إثبات العلم»[2]، وأنّه الّذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السَّماء، يعلم كسْب الإنسان للخير والشرّ في السِّر والجهر من فعل الخير والصّالحات، أو الإثم والسَّيئات، فعبَّر بدلالة الكسب سعي الكافر إلى ظلم نفسه بعبادة غير الله، والسّعي إلى الشّكّ في الآخرة، وتحصيل الإنكار مع علم الله له سرًّا وجهرًا، وفي الأمر تعجّب من حال -المنكرين- من يبصر عجائب صنع الله ومظاهر قدرته، ثمّ تعجيب ممن ينكر بعد ذلك البعث والجزاء، فهم يُشْركون الخلق -في العبادة- بالخالق عز وجل، فقاد شكّ المشركين الجهلة عن وجوب توحيده، وقدرته على إحياء الخلق بعد الموت؛ للحساب والمجازاة على كسبهم الحسن أو السيئ، فوجب الحمد على صفات الكمال والعلم والقدرة، فهو المستحق للحمد كله، وعند ختم الآية بمعونة دلالة مادة (كَسَبَ) ضمّنت الحمد الخبري بهداية الآية الأولى، وإرادة الأمر الفوري للبشر كافّة والمؤمنين خاصَّة.

ثانيا- مقام القصص القرآني:

وَرَدَتْ مادّة (كَسَبَ) في مقام القصص القرآني في ثلاث آياتٍ بيّنات متمثلةً هلاك قوم عاد وثمود، وقصّة فرار بعض الصَّحابة -رضي الله عنهم- في معركة أحد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:155].

بيَّنت الآية الكريمة أمورًا وقعت من بعض أصحاب النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- (يوم التقى الجمعان) في معركة أحد في السّنة الثّالثة للهجرة، والجمعان جمع المسلمين وجمع الكفَّار، فأخبر النَّظم القرآني بوجود حادثة وقعت أثناء المعركة، ثمّ أكَّدها بـ "إنَّ" ثلاث مرّات لأهمّيتها؛ في أوّل الآية بـ (إنَّ الّذين)، ووسطها مقرونة بـ"ما" في قوله: (إنَّما استزلهم) وآخرها بقوله: (إنَّ الله غفور حليم)، مع تضامن "قد" و"الفعل الماضي" في قوله: (ولقد عفا) لتحقيق ذلك العفو وإيناسًا لصدورهم، فتضمَّنت الآية الكريمة الإخبار عن ثلاث حقائق؛ التَّولّي من المعركة والقتال ففيه عصيان أوامر النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، واستزلال الشَّيطان ببعض ما اقترفوا من العصيان، ثمّ عفو الله عن المعنيين في الآية جاء بتخصيص الجار والمجرور "عنهم"؛ لئلا تطير أفئدة المؤمنين منهم[3]، ولذلك «روي أنَّ الشَّيطان ذكَّرهم خطاياهم، فكرهوا القتل قبل التَّوبة، ولم يَكرهوا القتل معاندة ولا نفاقًا، فعفا الله عنهم»[4]، ففيها تزكية نفوسهم، وتأكيد غفران الله -جلّ جلاله- وحلمه عليهم.

وهنا نكتة نحوية بلاغيَّة في قوله تعالى: (إنَّما استزلّهم الشَّيطان)، اتصلت "ما" الزّائدة بالحرف "إنَّ" المكسورة الهمزة فكفَّتها عن عمل نصب الاسم ورفع الخبر[5]، فتُبطل "ما" الزّائدة عمل "إنَّ"، وتكون الجملة

([1]) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 11: 261.

([2]) البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور". تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م)، 2: 588.

([3]) ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر"، 2: 170-171.

([4]) النحاس، أحمد بن محمد، "معاني القرآن الكريم". تحقيق محمد علي الصابوني، (ط1، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1409ه)، 1: 499.

([5]) ينظر: الاستراباذي، محمد بن الحسن الرضي، "شرح كافية ابن الحاجب". وضع هوامشه إميل يعقوب، (ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2006م)، 4: 76.

الّتي بعدها لا محل لها من الإعراب، و(استزلّ) على وزن «استفعل من الزّلة، والزّلة، هي الخطيئة»[1] فالشَّيطان عندما يستزلّ الإنسان، ويرتبط به عن طريق الوسوسة؛ ليُكسبه الآثام ويطلبها، ويكفّه عن عمل الصالحات، ويُبطل صحائف الحسنات بفعل السَّيئات، فيجعله في جملة البشر الّذين لا محل لهم في الحياة الكريمة.

كما أنَّ دلالة (إنَّما) جاءت بقصر الصّفة على الموصوف، ففُصر الاستزلال على الشَّيطان، فلم يتعدّاه إلى غيره، وفي اتصال "السّين" و"التّاء" بالفعل (استزلّهم) دلالة على طلب الشَّيطان لذلك الزّلل، وسعيه لتحصيل الهزيمة، فالزَّلل مقترن بالهزيمة كالثبات مقترن بالنَّصر، فالشَّيطان لا يترك وسوسته في السِّلم والحرب، وهذه من اللَّطائف العجيبة والحقائق الأكيدة.

فالّذين فرّوا من المعركة عند اشتداد القتال تعجَّل الشَّيطان على نفوسهم فقذف وسوسته بخفاء؛ ليُحمّلهم ذنب التَّولّي من الزَّحف، فـ«جعلهم زالّين، والزَّلل مستعار لفعل الخطيئة، والسّين والتّاء فيه للتَّأكيد»[2]، فكشف العالمُ بالصُّدور -جلّ جلاله- سبب وقوع المسلمين في هذه الزَّلة الحسّية، وتلك الهزيمة المعنوية، الّتي قلبت موازين المعركة من النَّصر إلى الهزيمة، فكانت بسبب بعض الذّنوب الخفيَّة مع خفاء إيقاع الشَّيطان بهم، فلو لم يكن الله غفورًا حليمًا لعذَّبهم، ولكنَّه عفا عنهم بتأكيد عدم مؤاخذته لهم.

وقصد بـ"الباء" في قوله: (ببعض) السَّببيَّة، فسبب كسبهم بعض ذلك الإثم كان على وجه الزّلل خارجي عن أنفسهم المرضية، وليس فيه طلب العصيان على وجه الرَّغبة والسَّعي له، فلا يطلب المؤمن الإثم والعصيان، خاصَّة من كانت عيونهم رأت النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وهم الصَّحابة الكرام، ثمّ إنَّ الفعل (كسبوا) وقع في الزَّمن الماضي لمرة واحدة، فلم يتجدَّد وقوعه، ولن يُستقبل كسبٌ مثله، وفي اتصال "واو الجماعة" تعريض بأنَّ العدد كبير، وقد اشتركوا في نفس التَّولي والتَّنازع في وقت واحد، وفي إخفاء لفظة التَّنازع والعصيان والتَّولي من الزَّحف واختيار الوصف بـ(كسبوا) تأنق في اختيار ألفاظ النَّظم القرآني، بحيث لا يصلح فيه سواها، كما قال ابن عطيَّة: «كتاب الله تعالى لو نُزعت منه لفظة ثمّ أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد»[3]، فوضعت (كسبوا) في الموضع الّذي تؤدّي فيه معناها بدقّة.

فالمقصود من عموم دلالة (كَسَبُوا) في الآية: العتاب على ذلك التَّفريط، واللّوم في اجتراح مفارقة مواقعهم من جبل الرُّماة، وعصيان أمر الرَّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، والتَّنازع بالتّعجل إلى الغنيمة، قال الزَّمخشري: «هو تركهم المركز الّذي أمرهم رسول اللَّه -صلّى الله عليه وسلّم-بالثَّبات فيه»[4]، فتولّوا عن القتال وانصرفوا عنه مع التَّنازع، فعفا الله عنهم ورضي عليهم.

ثالثا- مقام الوعد والوعيد:

ذُكرت مادّة (كَسَبَ) سبعًا وعشرين مرّة في مقام الوعد والوعيد، أو ما يسمَّى بالتَّرغيب والتَّرهيب، وأكثرها ورودًا في مقام الوعيد، فجاء الوعيد بالنَّار، ومن حال الكفَّار والمنافقين، وحال من غفل عن يوم جمع النَّاس والحساب، وشهادة الأعضاء على الإنسان، وإصابة الكفَّار بالمصائب في الدُّنيا والآخرة، ووعيد بعض الكفَّار باسمه كأبي لهب.

([1]) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 7: 327.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 3: 261.

([3]) ابن عطية، عبد الحق بن أبي بكر غالب، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق عبد السلام بن عبد الشافي، (ط1، بيروت: دار الكتاب العلمية، 2001م)، 1: 52.

([4]) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". (ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407ه)، 1: 430.

وقد يجتمع الوعد والوعيد في عموم اللَّفظ القرآني كما في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم:51] وقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر:17].

عند التَّأمل في الآيتين من خلال المقارنة اللّفظية يظهر التّشابه بينهما، ويفهمها من يقرأها بمعزل عن سياقاتها أنَّها جاءت الآية في مقام وعدٍ لمن فعل الطَّاعات ووعيد لمن فعل السَّيئات، وهذا صحيح للمتدبّر والمتأمّل، ففي كل آية مزايا متفرّدة مع سياقاتها، غير أنَّ السّياق في الآية الأولى وعيد صريح ووعد ضمني غير صريح، فجاء مقامها في التَّنكيل بالمجرمين يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ (49) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[إبراهيم:49-50]، وهو أيضًا مقام وعد ضمني غير صريح، بقرينة العموم في "كل"، فجاءت "نفس" نكرة في الآيتين، وهي تعني الاحتماليّة فتشمل كلَّ الأنفس، «فيجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته»[1]، وإظهار الأحوال المثاني بين الفريقين من خصائص النَّظم القرآني، «لأنَّه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم على أنه يثيب المطيعين لطاعتهم»[2]، فاتَّضح أنَّ حال المؤمن الكاسب في الآخرة بالنَّقيض من حال الكافر الخاسر.

وارتبطت دلالة (كَسَبَ) بـنفس كلّ متوعَّدٍ به في نار تحيط بها، وتصلاها من كل جانب، وهذه العقوبة من الحكم العدل -جلّ جلاله- لم تكن ظلمًا، بل جزاء لتلك النَّفس الخبيثة الّتي عبدت شركاء من دون الله، واقترفت سيّئات لها تبعاتها المهينة، وارتكبت موبقات آثمة مُذلّة، وأمَّا نفس المؤمن الطيّبة فقد كسبت العبودية لله وحده، وطلبت ثمرات الحسنات، وجنّة الرُّضوان والخيرات، وتطلَّعت لأعلى الدَّرجات.

وبالنَّظر إلى مادة (كَسَبَ) وخصائص التَّراكيب، فقد قُرنت بـ"تاء التّأنيث" مسبوقة بـ"ما" الموصولة المسبوقة بنكرة هي (نفس)، وهي مضاف إليه دالّة على العموم، ويتقدّمها المضاف (كل)، ودلالتها العموميّة وموقعها مفعول به، وصرَّح بلفظ الجلالة (الله) مسندًا إلى المسند -الفعل- (يجزي) -الّذي سُمي فاعله- مضارع منصوب بأنْ مضمرة؛ مقترنًا بـ "اللّام" تدلّ على تعليل ذلك الجزاء، ولم تذكر لفظة: (لا ظلم اليوم) كما ذكرت في الآية الثّانية؛ ففي ذلك تعريض للجاهل، وتنبيه للغافل بأنَّ الحساب والجزاء سيتولاه الحكم العدل-جلّ جلاله- بنفسه، كما ذكر صريحًا في الآية، «فيُحاسب الخلق في ساعة واحدة، كما يرزقهم ويدبرهم بأنَّواع التَّدابير في لحظة واحدة لا يشغله شأن عن شأن، وليس ذلك بعسير عليه»[3]، وحتى لا يقع فاصل بعد (كَسَبَتْ) جاء التَّأكيد بأنَّ الله سريع الحساب.

وأمَّا سياق الآية الثَّانية؛ فورد مقام الوعد والوعيد بشكل صريحٍ في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ. يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:15-16]، وهذا التَّجاور بين الوعد والوعيد، والاشتراك في حساب (كَسَبَت) يُعرَفُ بقرينة نفي الظُّلم عن ذلك اليوم في قوله: (لا ظلم اليوم)، فدلالة (كَسَبَ) مرتبطة بنفس المطيع والعاصي، فظهورهم يوم القيامة، ليس معهم من دنياهم إلَّا أعمالهم المدوّنة في صحائف الملائكة، فيظهر مُلك الله-جلّ جلاله- جليًا ظاهرًا، حين لا مُلك إلَّا لله وحده الواحد القهّار، فاتّصلت (كَسَبَت) بموقف النَّاس يوم القيامة، فعلى ذلك الكسب يكون الجزاء.

وبالنَّظر إلى مادّة (كَسَبَ) من جانبها التَّركيبي، فتشبه إلى حد كبير الآية الأولى، إلّا أنّها افترقت عنها بابتداء الآية بظرف الزَّمان والمكان معًا (اليوم)، فالزَّمان أي: يوم القيامة، والمكان: المحشر ومكان وقوف

([1]) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 17: 57.
([2]) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 2: 568.
([3]) المصدر السابق، 2: 568.

النَّاس للحساب والجزاء، فـ «اليوم يثاب كلّ عامل بعمله، فيوفّى أجر عمله»[1]، وتقديم الظرف (اليوم) يدُلّ على عزّة رفيع الدَّرجات وقدرته -جلّ جلاله-، فقد قصر الجزاء والحساب على ذلك اليوم وحده ولا يوم بعده.

وافترقت هذه الآية عن الأولى بدخول "الباء" على "ما" الموصولة، لدلالة السّببيّة، أي: بسبب عمل النَّفس، وفي ذلك إفهامٌ بالعدل، وأنَّ الفعل (تُجزى) لم يسم فاعله «بناه للمفعول لأنَّ المرغّب المرهّب نفس الجزاء»[2]، وأصبحت (كل) نائبة للفاعل وبمثابة من يجزي نفسه، والمقصد أنْ تلوم النَّفس صاحبها وتعاتبه، فإنْ كانت مؤمنة بتقصيرها في (كَسب) الحسنات وعملها، وإن كانت غير مؤمنة فبثبورها وندمها على تفريطها في الإيمان، ثمّ أُحتيج إلى تأكيد الجزاء والحساب بـ"لا" النَّافية لجنس الظُّلم، فجاء الرَّد بالنّفي صريحًا بعدم وقوع الظُّلم على أحدٍ؛ ليفحم المحتج على حساب الخلق والجزاء عليه، ويردّ عليه عندما لم يسمَّ فاعل الفعل (يُجزى)، مع أنَّ سياق الآيات قبلها قد بيّنت قدرة الله وقهره وأنَّه حكم عدل، ثمّ ختم الآية بما ختم الآية الأولى؛ للتَّأكيد على سرعته -جلّ جلاله- في حساب الخلائق؛ فـ «الظالم يخشى إسراع الأخذ بالعذاب، والمؤمن يرجو إسراع البسط بالثَّواب»[3]، فاتَّضح بعد النَّظر في السّياق، وجملة التَّراكيب في الآيتين أنَّ دلالة (كَسَبَت) تعني عملتْ الحسنات بإيمانها بالله وحده، أو عملت السَّيئات بعبادة غير الله واقترفت المحرّمات.

رابعًا- مقام التَّوجيه والوعظ والإرشاد:

وَرَدَتْ مادّة (كَسَبَ) في مقام التَّوجيه والوعظ والإرشاد في ست عشرة آية؛ كالتَّوجيه والوعظ والإرشاد بعدم إبطال الصَّدقة بالمنّ والأذى، وتنوّع مصادر الصَّدقة من التّجارة أو من الزّراعة، وعدم الصَّدقة من الكسب الخبيث، وأنَّه لا تكلّف نفس إلّا بما تستطيع، وحسن الخلق، والصّبر على أذيّة المشركين، وعدم الأخذ من الغنائم قبل توزعها، وتحذير المسلمين من الوقوع في الآثام والمعاصي؛ لأنَّها وسيلة لحجب القلب والعقل، ولذلك جاء التَّوجيه والوعظ والإرشاد لتنبيه المؤمنين للاهتمام بالأيمان -بفتح الهمزة- جمع يمين، وهي الحلف بقصد أو بغير قصد، «فالحلَّاف مُجترئ على اللَّه غير معظّم له، فلا يكون برًّا متّقيًا»[4]، فجاء التَّوجيه بالمعفوّ عنها والمآخذ بها، وخطورة الاستخفاف بها في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:225].

بيّنت الآيتان الكريمتان خطورة الاستهانة بكثرة الأيمان، فجاء النّهي أولًا بشكل صريح (ولا تجعلوا) فهو (سميع) لأقوالهم وأيمانهم، (عليم) بأفعالهم ومقاصد قلوبهم، والنّفي ثانيًا في (لا يؤاخذكم)، بأنْ يكون لفظ الجلالة مقرونًا بالحلف واليمين، «والمؤاخذة مفاعلة من الأخذ بمعنى العدّ والمحاسبة، والمؤاخذة باليمين، هي الإلزام بالوفاء بها، وعدم الحنث؛ ويترتب على ذلك أنْ يأثم إذا وقع الحنث»[5]، وقوله: (عُرضة) من الاعتراض والحجز، أي: «فلا تجعلوا اللَّه لأيمانكم برزخًا وحجازًا»[6] لإرادة منفعة دنيوية، أو من يجعله وسيلة لعدم فعل خير أو إرادة شرّ، أمَّا ما يجري على اللّسان من أيمان من غير قصديّة قلبيّة فتُسمى لغوًا، قالت عائشة -رضي اللَّهُ عنها-: «أُنْزِلَتْ فِي قَوْلِهِ: لاَ وَاللَّهِ، بَلَى وَاللَّهِ»[7]، فهذا مما عفا الله عنه وستر صاحبه، فلا كفارة فيه ولا إثم، ولمّا كان الله -جلّ جلاله- يستر ذنوب عباده، اقتضت حكمته أنْ يكونَ حليمًا على من عصاه، فلم يعاقبه مع قدرته عليه، ففيه تسكين لنفس الحانث التّائب، ولقلبه الخائف من العقاب، وفي الحديث الشريف: «مَنْ حَلَفَ

(1) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 21: 366.
(2) البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر"، 6: 495.
(3) البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر"، 6: 495-496.
(4) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 1: 268.
(5) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 2: 261- 262، بتصرف.
(6) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 1: 267.
(7) البخاري، محمد بن إسماعيل، " الجامع الصحيح"، 8: 168.

عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِهَا وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ»[1]، من باب كراهة منع الخير بسبب يمين قُطعت، فعليه أنْ يفعل الخير.

ثمّ أتى الاستدراك الإرشادي بـ(لكن)، فحدَّدت الآية أنَّ المؤاخذة على يمين معيّنة، ومتمركزة بـ"بما" أي بسبب الّذي (كَسَبَتْ قلوبكم)، مقاصد القلوب واليمين الكاذبة أو الحانثة، الّتي «اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في اليمين»[2]، وقصدت أخذ الحقوق، «وعقدت فيه الإثم»[3]، فعندها تكون المؤاخذة على أفعال القلوب ومقاصدها، فـ«الكسب يطلق على طلب الرّزق، وعلى القصد والإصابة، عبّر به فقال: (بما كَسَبَتْ) أي: تعمَّدت (قلوبكم) فاجتمع فيه مع اللّفظ النِّيَّة»[4]، ومنه كسبه الحنث في اليمين، أي: «تعمّده الحنث، فهو الّذي فيه المؤاخذة»[5]، وبالتّالي يُعدُّ الحنث وهو من فعل القلب وعزمه مقابل اللَّغو.

ثمّ على مستوى تراكيب الألفاظ، فالفعل (كَسَبَ) اتصل بـ"تاء" التَّأنيث السَّاكنة لتدلّ على القلوب، وأُسندَ الفعل للفاعل (قلوب) السَّاكنة داخل جسم الإنسان، وفي تنكير القلوب وإضافة "كاف" الخطاب مع "ميم" الجمع إليها تضمين بإرادة قلوب المخاطبين أصحاب المقاصد القلبية، ومن نظرة بيانيّة ففي إسناد الكسب إلى تلك القلوب استعارة مكنية، فصوَّر القلوب بالتُّجار الّذين يكسبون، فحذف المشبه به -التُّجار- ورمز له بشيء من لوازمه في قوله: (كَسَبَت)، أو استعارة تصريحيّة بحذف المشبّه أي: حنثت قلوبكم باليمين.

خامسًا: مقام الأحكام التَّكليفيّة:

وَرَدَتْ مادّة (كَسَبَ) في مقام الحكم التَّكليفي في آية حدِّ السّرقة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:38].

فالسَّارق من أخذ شيئًا خُفيةً من حرز[6] ذا قيمة ماديّة لها اعتبارها من الشَّرع، وقد بيّنت الآية الكريمة حدَّ هذه الجريمة المنكرة وهي قطع اليد، وفي دلالة "أل" العهدية بالرّجل السَّارق والمرأة السَّارقة، وفي علة تقديم (السَّارق) على (السَّارقة) لأكثرية وقوع هذه الخطيئة من الرّجال، وقد يجتمعان في سرقة واحدة، ثمّ قدَّم الحكم وعاجلهما بالعقوبة بـ"الفاء" لتضمّنهما معنى الشَّرط (فاقطعوا) قبل توعّدهم بالجزاء، أو ذكر أسبابه (جزاءً) مفعول لأجله، (بما كسبا) ومجازاة لهما على العمل في التَّلصُّص[7]؛ «وأريد باليدين اليمينان، بدليل قراءة: والسَّارقون والسَّارقات فاقطعوا أيمانهم»[8]؛ لما في تأخير الحكم عليهما ضياع للحقوق، فالإسلام يسعى لدرء المفاسد وإخماد نارها حفاظًا على حقوق المجتمع المسلم، ولذلك قال: (نكالًا) أي نكوصًا عنه وخوفًا منه[9]، وفيه اعتبار بحال من ينوي فعل تلك الخطيئة، والتّسليم لقضاء الله -جلّ جلاله- وحكمه، وكان القطع "بما" أي: بسبب الاسم الموصول وهو يضمّن معنى الشّرط، وذكر الفعل (كَسَبَا) متّصل بـ"ألف الاثنين" المذكورين (السَّارق والسَّارقة) على الابتداء، مع حذف خبريهما وتقديره: "حكمهما" أو جملة: (فاقطعوا)، و"واو" الجماعة المعنيُّ به ولي الأمر، وليس المؤمنون بقرينة المقام[10]، ثمّ لم يقل: "سَرَقَا" بل (كَسَبَا)، لما فيها من بلاغة اللَّفظة القرآنيّة وإعجازها، فـ(السَّارق) و(السَّارقة) لا يكتفيان بفعل السَّرقة وحدها، بل يقومان بإجراءات استباقية للسَّرقة، من تلفيات للمنازل والدُّور، وإزهاق الدِّماء والاغتصاب، وارتكاب الخطايا والآثام بشتَّى صورها وحيلها حتى يَصِلَا إلى فِعل السَّرقة ذاتها، فـ«السَّرقة من جملة المحاربة والسَّعي بالفساد وكان فاعلها غير

---

(1) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، "المسند الصحيح". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت)، 3: 1271.
(2) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 1: 268.
(3) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 4: 451.
(4) البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر"، 1: 425.
(5) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 2: 364.
(6) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 1: 632.
(7) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 10: 297.
(8) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 1: 631-632.
(9) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 5: 101.
(10) ينظر: المصدر نفسه، 5: 99.

متّقٍ»[1]، ثمّ ما يتبع هذا الفعل من هروب وإهدار للممتلكات، ودخول وخروج من بيوت لها حرمتها وغير ذلك، فعبَّر النَّظم القرآني عن أفعالهما كلها بـ(كَسَبَا)، فدخل تحت دلالة هذه اللّفظة أيُّ فعلٍ يقومان به، سواء قبل السَّرقة أو وقتها، أو بعدها، وبهذا تظهر جليًّا بلاغة لفظة (كَسَبَا) في النَّظم القرآني، الّذي نزل من عند العزيز الحكيم، الّذي يُبصر حركات ذلك السَّارق وتلك السَّارقة في كل أحوالهما المختلفة والمتعدِّدة، فكان قطع يد السَّارق والسَّارقة تطهيرًا لهما في الدُّنيا، وكان بغلبة الله -جلّ جلاله- العزيز؛ الّذي لا يحال بينه وبين ما يريده، وبحكمة الحكيم في قضائه وملكه وتدبيره.

ومن المهمّ ذكره في ختام هذا المبحث أنَّ النَّظم القرآني اتَّسم بلاغيًّا بدلالات متنوعة لمادّة (كَسَبَ)، فجاءت في مقام عظمة الخالق لتدلّ على معنى طلب الكفر والشِّرك، والسَّعي لاقتراف السَّيئات والآثام، والغفلة عن علم الله -جلّ جلاله- العالم بسرّهم وجهرهم، وفي مقام القصص القرآني دلّت على طلب التَّنازع، والتَّعجُّل بالغنيمة، والسَّعي لترك القتال والتَّولّي عنه، وفي مقام الوعد والوعيد دلّت على عمل الحسنات، وعبادة غير الله وعمل السَّيئات، وفي مقام التَّوجيه والوعظ والإرشاد دلَّت على تَعمُّد القلوب وعملها، وإصابتها الحنث في اليمين وعدم الوفاء به، وفي مقام الأحكام التَّكليفيّة دلّت على ارتكاب السَّارق الخطايا والآثام، وإتلاف الممتلكات وسفك الدماء، دون مراعاة لمراقبة العزيز الحكيم.

وكان لورود مادة (كَسَبَ) في كل المقامات المعنية الأثرُ الدِّلالي والبلاغي، فكشفت عن معانٍ دقيقة بتأكيد مناسبتها للمقام الّذي اتّسمت به، والسِّياق الّذي وَرَدَتْ فيه، ومبيّنة أنَّ إعجاز القرآن الكريم لم يكن إلا في نظمه وبلاغته، وفي غيره، لكنَّه في البلاغة أظهر وأبين، فهو نظمٌ إعجازي من عند الله -جلّ جلاله- لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المبحث الثّاني: مقامات مادّة (خَسِرَ) في النَّظم القرآني

جاءت مادّة (خَسِرَ) بكل تقليباتها الصّرفيّة في النَّظم القرآني في ثلاثة وستين موضعًا، وستين آية، وخمس وثلاثين سورة، وتلاءمت المضامين البلاغيّة بسماتها كافّة وفقا للمقامات المختلفة، فكان تفصيلها على النَّحو الآتي:

أولا- مقام عظمة الخالق في الكون وقدرته:

وَرَدَتْ مادّة (خَسِرَ) في مقام عظمة الخالق في أربع آيات، مُظهرةً جلال قدرته المحكمة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:12].

عند التَّأمُّل في الآية الكريمة تظهر لفظة (قل)، وهي أمر من الله -جلّ جلاله- لنبيه -صلّى الله عليه وسلّم- ، بالقول، والقول هنا موجّه للمشركين ليُقرُّوا بالتَّوحيد، الّذي جاء بصيغة الإنشاء الطَّلبي في قوله: (لِمَن)، ونوعه استفهام تقريري، أي: من الموجد والمتصرّف والمالك للسَّماوات والأرض وما فيها؟ والقصد منه التَّبكيت والإلزام والتَّعجيب من حالهم، ثمّ جاء الجواب مشوبًا بالتَّوبيخ؛ لإبلاغ حجَّة الله عليهم، فقرَّرهم بالتَّوحيد بلفظة (قل لله) -جلّ جلاله-، «وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلّم واحد، وهو أسلوب متبع في القرآن»[2]، والكفَّار معترفون، ولا ينكرون أنَّ كل شيء تحت ملكه وتدبيره -جلّ جلاله-، وهو المتفضّل بقوله: (كتب على نفسه الرَّحمة) وفي الحديث الشَّريف: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[3]، فأوجبَ على نفسه الرَّحمة تفضُّلًا منه وتبشيرًا للمؤمنين، فباب الرَّحمة لم يغلق، وفيه تعريض

(1) البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر"، 2: 454.
(2) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 6: 31، بتصرف.
(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، " الجامع الصحيح"، 9: 153.

للكافرين وتهديد لهم، ورحم الله الإمام البقاعي؛ عندما تأمَّل الآية ذكر أنَّ فيها تقريرًا بإثبات الصَّانع بقوله: (لمن ما في)، والنُّبوة بـ (قل)، والمعاد بـ (يوم القيامة)[1].

ثمّ أقسم بقوله: (ليجمعنَّكم)، وأكّده باللّون المشدَّدة باجتماع الخلائق يوم القيامة، مع نفي الشكّ (لا ريب فيه) في حصوله ووقوع الوعيد، غير أنَّ الظَّالمين تنكّروا الحساب، وجحدوا قدرة الله -جلّ جلاله- على البعث والجزاء، فتجرّأوا على الكفر به وعصيانه، فـ «أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادّعائهم لله الندّ والعديل، وأصل "الخَسَار" الغُبْنُ، يقال: خسر الرجل في البيع إذا غبن»[2]، وكان سبب عنادهم أنْ خَسِرُوا -بعدم إيمانهم- أنفسَهم فأوردوها المهالك.

وعند التَّأمّل في الاسم الموصول (الّذين) الدَّال على الجمع وصلته، وهو الفعل الماضي (خسروا) المتَّصل به الضَّمير "واو" الجماعة، يظهر في علم الله -جلّ جلاله- الأزلي مصير المعاندين والكفَّار الجاحدين بعدمية إيمانهم، وكان سبب الخسران عدم إيمانهم فكان مسببًا عن خسرانهم، ومعناه: أنَّهم في علم الله اختاروا الكفر على الإيمان[3]، ودلالة الفعل الماضي (خَسِرُوا) تكشف المعاني المجازيّة والحقيقيّة، سواء في الماضي -علم الله- أو الحاضر -الحياة الدُّنيا- أو المستقبل -الآخرة-، بإهلاك جسد النَّفس وتحطيمه، وإهمال العقل في النَّفس وإتلافه، فضيّعوا أنفسهم بكفرهم، وحطّموها بتكذيبهم، وإخلالهم بفطرة ربهم، وإقحام النَّفس النَّار يوم القيامة، ورحم الله ابن عاشور عندما قال: «فقد حصل في هذه الجملة من الخصوصيات البلاغيَّة ما لا يوجد مثله في غير الكلام المعجز»[4]، وغيرها من المدلولات المتدّثرة تحت عباءة مادّة (خَسِرَ).

ثانيا- مقام القصص القرآني:

وَرَدَتْ مادّة (خَسِرَ) في مقام القصص القرآني في أربع عشرة آية، فتجلّت في قصّة نوح وصالح وإبراهيم وشعيب ويوسف وموسى -عليهم السَّلام- مع أقوامهم، وقصّة يوسف -عليه السَّلام- مع إخوته وأبيه، وقصّة إبراهيم -عليه السَّلام- مع قومه عندما رموه في النَّار، وقصّة شكوى نوح -عليه السَّلام- لربه، من الّذين كذَّبوا برسالته واتبعوا أصحاب المال والجاه والأولاد، والآيات في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [يوسف:14] وقوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:70] وقوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح:21].

هذه الآيات لها دلالتها المعتبرة من جانب وزنها الصّرفي لمادّة (خَسِرَ)؛ للنَّظر في مآل الأنبياء الثَّلاثة الكرام، ودلالة الألفاظ والمقام القصصي، واقتران وصف الخسارة بحال إخوة يوسف-عليه السَّلام-، وقوم إبراهيم -عليه السَّلام- وقوم نوح -عليه السَّلام.

فأمّا الآية الأولى، فقوله: (لخاسرون)، وزنها: "فاعل" وأصلها من "خَسِرَ" على وزن "فَعِلَ" متعدّ، وفي استعمال (خَاسِر) بدل من "أَخْسَر" ذكاء ودهاء من إخوة يوسف؛ لإشارة (خاسرون) على من قام بفعل التّفريط في أخيهم أو اتّصف به، فنفوا عن أنفسهم التّفريط بمؤكدات كثيرة؛ كالقسم المحذوف وتقديره: "والله لئن أكله"، واللّام في (لئن) لام القسم تفيد ربط الجواب بالقسم، و الحرف النَّاسخ (إنَّا) للتَّوكيد ومتّصل به اسمها، و الحرف (إذًا) جواب يُؤتى به للمفاجأة، واسم الفاعل (خاسرون) الواقع خبرًا لاسم (لإنَّ)، وجملة (إنَّا إذًا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشّرط، والواو في (ونحن عصبة) حاليّة، و«العصبة: عشرة فما زاد»[5]، فحلفوا لأبيهم بأنَّ الذّئب إنْ أكل أخاهم فحالهم أنَّهم خاسرون عجزًا وضعفًا، أو بالدُّعاء على أنفسهم

([1]) ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر"، 2: 594.
([2]) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 11: 280، بتصرف.
([3]) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 2: 9.
([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 6: 34.
([5]) الفرّاء، "معاني القرآن"، 2: 36.

بالخسران[1]، فأظهروا صلاح شأنهم وبطَّنوا الضُّر لأخيهم مع الإهلاك، في ضروب من المؤكّدات والكنايات[2] الّتي ضُمّنت القسم بعدم تفريطهم، فلما استمع أبوهم لمؤكدات الكلام اطمأن لقولهم وأرسله معهم.

ثمّ إنّ استعمال (خاسرون) في ظنّ الإخوة لن يتحقّق وقوعه؛ لظنّهم أنَّهم "كاسبون" محبة أبيهم، و(خاسرون) لأخ يُفَضِّلُه الأبُ عليهم، ولا بدّ من التَّخلُّص منه، وعند التَّأمُّل في الآية وأحداث السُّورة الكريمة يظهر تحقّق (خاسرون) عليهم حالًا واستقبالًا، فأمَّا الحال، فبإبعاد أخيهم وإرادة هلاك نفس نبي كريم، وكذبهم على أبيهم وإجهاده بتذكّره في كل وقت، وبكائه حتى ابيضّت عيناه حزنًا على يوسف -عليه السَّلام-، والتحقت بهم تلك الصّفة استقبالًا عندما أصبح عزيز مصر، فلمَّا قرَّرهم بما فعلوه به وبأخيه زادت خسارتهم، وتحققّت أيضًا في صبره على الأذى والسّجن حتى بلغ تلك المرتبة الكريمة، بيد أنَّ خسارتهم دنيوية ومؤقتة بزمن معين، فقد طلبوا من أبيهم أنْ يستغفرَ لهم ففعل، فخسرانهم ليس كخسران الكفَّار والمشركين.

وأمَّا الآية الثّانية، فقوله: (الأخسرين) اسم تفضيل، وقد يُراد به صفة مشبهة، ومفردها "أَخْسَر" على وزن "أَفْعَل"، فتُصاغ من الفعل الثّلاثي اللّازم لتدلّ على عيب كـ "أَخْسَر" "وأحْوَل"، ومن خصائص الصّفة الّتي شبهتها الآية، وهي: (الأخْسَرين)، الدّلالة على وجه ثبوت الخسارة في الحال والدَّوام، فأمّا الحال، فلم يحترق نبي الله إبراهيم-عليه السَّلام- كما خططّ له قومه بكيدهم، وأمّا الدَّوام، فمع تدبيرهم للأمر بخفية، وكيدهم ومكرهم وحنقهم على النّبي الكريم، فلم ينْتصروا لأصنامهم الّتي كُسرت، فهاجر إبراهيم -عليه السَّلام- ومن معه آمنين، فصيَّر الله -جلّ جلاله- القوم (أَخْسَرين) حالًا ودوامًا، فثبتت صفة إهلاك[3] أنفسهم، ودامت عليهم نقص عقولهم وهلاكها بشركهم، فلم ينالوا بإحراقه مرادهم ففشلوا وعجزوا، لذا استعيرت خيبتهم بخسارة التَّاجر لتجارته، فخابت مقاصدهم وهلكت[4].

وأما الآية الثّالثة فقوله: (خَسَارا)، وأصلها "خَسَار" على وزن "فَعَال"، وهي مصدر للفعل "خسر" الثّلاثي على غير قياس كـ(خَسَر خَسَارًا)[5]، وبالنَّظر في الموقع الإعرابي لـ(خسارًا)، فهي مفعول به ثانٍ، والفعل (يزد) من الزّيادة في الأصل، ولكنّه في الآية على وجه النّفي (لم يزده)، فالنّفي بـ (لم) والاستثناء بـ (إلّا) من أدوات القصر، فَقُصِرَت الصّفة (خَسَارًا) على الموصوفين أصحاب الأموال والأولاد الّذين سخّروا النَّعم لصدّ النَّاس عن سبيل الله وعن محجَّة نوح -عليه السَّلام-[6]، فزادوا خسارة بعد خسارة وخيبة بعد خيبة، كنقص تجارة التَّاجر الخائب استعارةً لعمله الخاسر، فالخسارة بزيادة آثامهم ملتصقة بهم وبأتباعهم[7].

وبعد النَّظر في ألفاظ ودلالات (خَاسرون) و(الأَخْسَرين) و(خَسَارا)، يظهر أنَّه لم يكن المعنى لينجلي عن مادة (خَسِرَ) في مقام القصّة القرآنيّة وسياقها إلا بالرجوع إلى الصّرف وميزانه، والنَّحو وتركيبه، والبلاغة ووظائفها وسماتها.

ثالثا: مقام الوعد والوعيد:

وَرَدَتْ مادّة (خَسِرَ) في مقام الوعيد في ثماني عشرة آية، ولم تأت في مقام الوعد؛ لأنّه لا يكون التّرغيب بالخسران، فبيّنت مادة (خَسِرَ) خسارة الكفَّار وأهل الضَّلال، ودلّت بالخسران على نقضهم عهد الله، وكفرهم بالقرآن وتكذيب الرُّسل، وقِلة أثقال موازينهم، وقتل أولادهم شحًا وجهلًا، وشهادة جلودهم، وعدم الشفاعة فيهم، وعدمية إرجاعهم الى الدُّنيا، وكل ما ذُكر يدخل في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود:22]، و قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل:109].

([1]) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 1: 449.
([2]) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 12: 31-32.
([3]) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 18: 467.
([4]) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 17: 78.
([5]) ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، "الكتاب". تحقيق عبد السلام هارون، (ط2، القاهرة: مكتب الخانجي، 1982م)، 4: 125.
([6]) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 23: 638.
([7]) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 29: 192.

من خلال النّظر في الآيتين الكريمتين يَظهرُ تطابقهما في الكلمات جميعها إلّا في مادّة (خَسِرَ)، فيكمن خلف هذا الاتفاق في مجمل الآيتين والاختلاف في اللّفظتين خصائص بلاغيّة، فاللّفظة في سورة هود: (الأخسرون)، وفي سورة النّحل: (الخاسرون)، فعند التّأمُّل في الآيات الّتي سبقت الشّاهد الأوّل -سورة هود- في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (18) ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ (19) أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ (20) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [هود:18-21]، يَظهر أنَّها توضّح أمورًا ذاتية ومتعدّية لأفعال الكفَّار وأهل الضَّلال، ثمّ كيفية مجازاتهم المختلفة، ففي أوّلها: (ومن أظلم) بالاستفهام المنفي، أي: لا أحد أكثر ظلمًا من المفترين على الله -سبحانه- بالولد أو الشّريك أو المثيل، والمكذبين عليه بنزول الوحي عليهم وغيرها، فهؤلاء لا أحد من النَّاس أظلم منهم أبدًا، ثمّ عدَّ أوصافهم باسم الإشارة (أولئك) أي البُعداء، وكرّرها ثلاثًا، في قوله: (أولئك يعرضون على ربهم) فيجازيهم على صدّهم للحقّ المنزل على الرُّسُل، مع اجتهادهم في ذلك الصدِّ بكل الوسائل، وقوله: (أولئك لم يكونوا معجزين)؛ لأنَّهم مخلوقين فلن يُعجزوا الخالق، وإلى الله -جلّ جلاله- مصائرهم فيحاسبهم، وقوله: (أولئك الّذين خَسِرُوا) بإضاعتها فيما لا ينفع فاستحقوا العقاب، كالتَّاجر اللّاهي عن بضاعته حتى فنيت واضمحلّت، فغاب عنهم يوم حاجتهم أنَّ في الشُّركاء جَلْبَ نفعٍ ودفع ضر، والمعنى: أن (أولئك) المفترين سيعرضون يوم القيامة على ربهم فيجازيهم.

لما انتهى من الجمل المتقدّمة في الآيات السَّابقة، أُستؤنفت النَّتيجة فقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود:22]، فوضّحت بالأخسرية تلبسهم بخمسة استحقاقات، بقوله: (لا جرم)، فنفى الشكَّ عن ذلك المصير، ثمّ بحرف التَّوكيد (أنَّهم)، أي: حال من ذكروا في الآيات السَّابقة دون غيرهم، ثمّ قدَّم الجار والمجرور (في الآخرة)؛ للاهتمام والعناية به، فإنَّ الشّأن كلّه في الجزاء والحساب الّذي سيكون في الآخرة، ثمّ خصّهم على وجه القصر بالضَّمير المنفصل (هم) فأعاد ذكره، أي: هم أولاء لا أحد غيرهم أكثر خسارة، و(الأخسرين) اسم تفضيل أو صفة مشبهة، دالّة على خسارتهم حالًا واستقبالًا فهي ملازمة لهم أيضًا، فضيَّعوا أنفسهم في الدُّنيا كالتَّاجر استعارةً، وأحرقوها بدخول جهنَّم في الآخرة.

ثمّ إنَّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى؛ فإنَّ أهلَ الضَّلال عندما أُغرقوا في كثرة فسادهم وإفسادهم، وكفرهم بالله واليوم الآخر، وتعدّوا ذلك بصدّهم عن الإسلام، وإعراضهم بعدم قبول الحقّ بأسماعهم وأبصارهم، وشدّة ضلالهم وإغوائهم للنَّاس، استحقّوا الخسارة والشَّقاء السَّرمدي بالزّيادة على الوزن الصّرفيّ لمادّة (خَسِرَ)، فـ«باعوا منازلهم من الجنَّان بمنازل أهل الجنَّة من النَّار»[1]؛ فجُمع لهم في سورة هود خسرانين، (خسروا) في الدُّنيا و(الأخْسَرون) في الآخرة، فـ «لا ترى أحدًا أبين خسرانًا منهم»[2] مبالغة في وصف حالهم بالحرمان والحسرة.

وأمَّا الآيات الّتي سبقت الشّاهد الثَّاني -سورة النَّحل- في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (106) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (107) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ فتذكُر أمر من رضي بالكفر بعد إيمانه ثمّ جزاءه، ففي أوّلها: (من كفر بالله) فانشرح له صدره راضيًا به مطمئنًا بعد رؤية نور الهدى، فكان جزاؤه غضب الله -جلّ جلاله- (ولهم عذاب عظيم)، فقصر الموصوف -الكفَّار- على الصّفة -العذاب- دون غيرهم، وهذا لا ينطبق على من أُجبر

(1) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 15: 288.
(2) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 2: 386.

على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؛ فلا إثم عليه ولا عتب، فقد أجاز له الإسلام النُّطق بالكفر حال الإكراه، ثمّ أتى باسم الإشارة (ذلك) لبيان سبب ردّتهم عن الإسلام، وهو حبّ الدُّنيا والطّمع فيها على الآخرة، فلما قدَّموا حبّ الكفر على الإيمان لم يهدهم الله -جلّ جلاله-، ثمّ عدّ صفة من رضي بالكفر على الإيمان باسم الإشارة (أولئك) أي: البعداء فكرّرها مرّتين، فأضحت قلوبهم مطبوعةً بالكفر، كذلك حال أسماعهم وأبصارهم، فلا تدخلها هداية أبدًا، فوصفتهم الآية بغفلتهم في الدُّنيا، وذكرت مصيرهم في الآخرة.

ومما لاشكَّ أنَّ من كانت حاله كذلك؛ كانت نتيجته باستحقاقات خمس كما في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل:109]، فافتتحت الآية بنفي الشكّ[1]، وأفادت التَّوكيد بـ (أنّهم) أي: حال من ذُكروا، وتقديم الجار والمجرور: (في الآخرة) يفيد القصر، وضمير الفصل: "هم"، و"أل" التَّعريف، كل ذلك لقصر صفة الخسارة على من رضي بالكفر على الإيمان، فلا تتعدّاه لغيره، فـ «غَبَنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى»[2]، فهم (الخاسرون) لأنفسهم بهلاكها وإحراقها، وخسارة الجنَّة ونعيمها.

وعند التَّأمُّل في اللّفظين: (الأخسرون)، و(الخاسرون)، تكوّنت في (الخاسرون) صفة لمن قاموا بعمل ذاتي لا يتجاوز إلى غيرهم، فوُصفوا بـ(الخاسرون) فقط، فلم يتعدّوا بالكفر إلى الصدّ عن سبيل الله، وابتغاء العوج في الدِّين والسَّعي فيه، كما في سورة هود عندما كان الوصف بزيادة حروف المادّة (الأخسرون)؛ لقيامهم بأمور مختلفة عن الكفر، فتجاوزوه إلى الصدِّ عن الدِّين والإفساد في الأرض، فزيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى.

رابعًا- مقام التَّوجيه والوعظ والإرشاد:

وَرَدَتْ مادّة (خَسِرَ) في هذا المقام في عشرين آية؛ كالتَّوجيه والإرشاد بعدم طاعة الكفَّار، وعدم السّير على خُطى أهل الضَّلالة حتّى لا تحبط الأعمال، والوعظ بأنَّ القرآن فيه الشّفاء والرَّحمة، وعدم الاغترار بالدُّنيا الفانية مقارنة بالآخرة الباقية، وعدم الاغترار بالمال والأولاد، وعدم طاعة الشَّيطان، وعدم ترك المنجيات، ومن الآيات الّتي جاءت في هذا المقام قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:119] وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:2].

يتَّضح مما سبق ذكره أنَّ ارتكاب الذُّنوب من أهلها لم يكن إلّا بسبب الشَّيطان وحزبه، ولذلك جاء التَّوجيه والإرشاد في الموضع الأوّل في سورة النّساء بعدم طاعة الشَّيطان إجمالًا، ثمّ تفصيلًا من خلال أمره بأربعة أمور مهلكات، كالضَّلال، والأماني الزّائفة، وتبتيك آذان الأنعام والمواشي، وتغيير خلق الله، وباتخاذه وليًا وحبيبًا، والعاقبة في كل ذلك الخسران المبين.

وعند التَّأمُّل في ورود الفعل (خَسِرَ) المؤكّد للمصدر (خُسرانًا) المنعوت بـ (المبين)، يتبيّن أنَّ قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا (117) لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:117-118]، وهي الآيات الّتي سبقت الشّاهد، وقوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا (120) أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء:120-121]، وهي الآيات الّتي جاءت بعد الشَّاهد، يتبيّن أنَّ الآيات القبلية والبعدية مرتبطة بالشَّاهد ارتباطًا وثيقًا، ففيها تحذير من الشَّيطان ومكائده، وإرشاد للسلامة منه.

أمَّا حال المشركين، فيعبدون أصنامًا كـ "العزّى" و"اللّات" وهي أسماء إناث، مما يدُلّ على نقصها لصفات الكمال، ثمّ أضرب النَّظم القرآني والتفت إلى كُنه تلك الأوثان وحقيقتها بأنَّها غير معبودة لذاتها، بل

(1) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 13: 240.
(2) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 17: 306.

الشَّيطان هو معبودهم الحقيقي المتلبّس في تلك الصُّور والمسمَّيات، وهو الّذي أُبعد وطرد من رحمة الله -جلّ جلاله-، فأقسم الشَّيطان الرَّجيم بأنَّه سيسعى ليُغوي بني آدم، ويَسْعَى لهم في كل جانب فيضلّهم عن سبيل الله، وحسْب سعيه أنَّه وعْد وأماني للمغرورين بـ «طول الأعمار، وبلوغ الآمال»[1]، فقُصر الغرور على كثرة وَعْدِ الشَّيطان الزّائف، ومن اتّبعه كانت نهايته جهنّم، فلا يجد عنها فكاكًا ولا خلاصًا، وقد حذرنا القرآن الكريم في مواضع كثيرة من الشَّيطان وخطواته وطرقه، وقد حذرنا في موضع الشّاهد من أربعة أساليب عملية تقود إلى الخسران المبين تكمن في الإضلال، والأماني الكاذبة، وتقطيع آذان الأنعام، وتغيير خلق الله -الفطرة- بالوشم والنَّمص وغيرها.

والمهم ذِكره هنا أنَّ الْمُقسم في الشّاهد هو الشَّيطان الرّجيم، وكلام الشَّيطان فيه وعيد وتهديد للإنسان بالانتقام منه، ثمّ أتى ختام الشّاهد بالشّرط، وفعله بقوله: (ومن يتخذ الشَّيطان وليا)، وجواب الشَّرط مقرونًا بقد بقوله: (فقد خسر)، ليقود المعنى إلى حقيقة محقّقة واحدة أنَّه (خَسِرَ) بنقص الحسنات وزوالها، فلم يبق معه شيء، فـ«هلك هلاكًا، وبخس نفسه حظّها فأوبقها بخسًا مبينًا يبين عن عطبه وهلاكه»[2]، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"، أي: خسر من اتبع الشَّيطان وليًا، وتأكيد ذلك الاتخاذ تأكيدًا جازمًا بالمصدر -المفعول المطلق- (خسرانًا)، لتجتمع عليه خسارة الاتخاذ بخسران المصير والمأوى جهنَّم، بعكس «من تولى مولاه وآثر رضاه رَبِحَ كل الربح»[3]، فشتَّان ما بينهما.

أمّا الشّاهد الثاني، فموضعه في سورة العصر، فظاهره توجيه الإنسان وإرشاده بأنَّه في (خُسْرٍ) عام، إلّا إنْ اتبع أربعة أمور مُنجيات من الخُسْرِ، فهو بالعكس من الشّاهد الأوّل تمامًا، فالْمُقسم في قوله: ﭽ ﭑ ﭽ الله -جلّ جلاله- ويراد به تأكيد الخبر، وجاء جواب القسم مؤكّدًا بـ(إنّ الإنسان)، و"اللام" الدّاخلة على حرف الجر (لفي) تفيد الظّرفية، واستعمال (لفي خُسْر) أكْمل بلاغة من "إنَّ الإنسان لخاسر"، فإنَّ الظّرف اشتمل بإحاطة المظروف، وكل تلك المقدّمة القسميّة تفيد التَّحذير والتَّهويل والتَّعظيم من الوقوع في (الخُسْر) الّذي تشمله عقوبة بالذُّنوب، وخسران الأهل والمنزل في الجنَّة[4]، ثمّ استثنى بـ(إلا) أربعة أمور تُنجي من (الخُسْرِ)، فجاء التَّوجيه في السُّورة للإنسان عامة للنَّجاة من (الخُسْر)، وهو ضد الكسب ويُراد منه مطلق الخُسْر، وفيها استعارة لسوء المنقلب لمن يعتقد أن عاقبته حسنة[5]، ثمّ إنَّ السُّورة الكريمة فيها رحمة للإنسان، وترغيب وإرشاد، فالْمُنجيات من (الخُسْر) تكمن في الإيمان بالله اعتقادًا وقولًا، ثمّ عمل الصالحات باجتهاد وصدق، فالصَّالحون ربحوا الآخرة في تجارتهم فسعدوا، «ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم، فوقعوا في الخسارة»[6]، ويصاحبهما تواصي المسلمين بينهم على الخير والنُّصح بالحق، ثمّ حاجتهم إلى الصّبْر في الحق والصّبر عن الباطل، فمن تمسك بالأربع المنجيات نَجَى من الخُسْرِ.

ويتّضح من ذلك أنَّ مقام التَّوجيه والوعظ والإرشاد كان حاضرًا في هذين الشَّاهدين، وملهمًا إلى دقة مادّة (خَسِرَ) وبراعتها وإعجازها في سورتي النّساء والعصر، ومبرزًا للعمليّة الإبلاغيَّة من خلال الإيجاز، والقصر، والمقابلة بين الْمُهلكات والْمُنجيات.

خامسًا- مقام الأحكام التَّكليفيّة:

وَرَدَتْ مادّة (خَسِرَ) في مقام الأحكام التَّكليفيّة في أربع آيات، وذلك في سورة الشُّعراء، والرّحمن، والمطفّفين، وكلها في الأمر بالقسط في المعاملات الشّرائية، وعدم غش النَّاس وبخسهم حقوقهم، وتوضيحها

([1]) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 1: 566.

([2]) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 9: 224.

([3]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط1، الرياض: مؤسسة الرسالة، 2000م)، ص203.

([4]) ينظر: الفرّاء، "معاني القرآن"، 3: 289.

([5]) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "التحرير والتنوير"، 30: 464، 466.

([6]) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 4: 794.

في الآيات الآتية: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ (181) وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ (182) وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الشعراء:181-183]، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن:7-9]، وقوله: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ (1) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطفّفين:1-3].

ففي سورة الشّعراء نصائح تشريعيّة وأوامر تكليفيّة من نبي الله شعيب -عليه السَّلام- تجاه قومه أهل مدين، وكانوا مع كفرهم وشركهم لديهم صفة ذميمة، وخصلة عملية تدلّ على جشعهم في المال وغشهم للنّاس بعدم إيفاء الكيل في البيع والشّراء، فبعد أنْ ذكَّرهم النبي الكريم بالتَّوحيد أتى بالأمر: (أوفوا الكيل)، وأعقبه بالنَّهي: (ولا تكونوا)، ثمّ كرَّر عليهم الأمر: (وزنوا) وعطفه على الأمر السَّابق، ثمّ أتى بالنَّهي مرَّة أخرى: (ولا تبخسوا) معطوفًا على: (ولا تكونوا)، ثمّ أتى بالنَّهي مرة ثالثة: (ولا تعثوا في الأرض) معطوفًا على: (ولا تبخسوا)، مما يدلّ على اقتران خطورة الشّرك بالإضرار بالنَّاس من خلال عدم الإيفاء بالمكاييل في أرزاقهم، وجعلها من الإفساد في الأرض، فالأرض وضعت ليُبسط فيها العدل ويُمحى عنها الظّلم، فهي مُلكٌ لله -جلّ جلاله-، وهو الرّقيب على أسعار البضائع، وفي الحديث الشَّريف: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ»[1]، ففي ذلك ضبط لمصالح النَّاس الدنيويَّة.

فإيفاء الكيل يعني إتمامه وإكماله وعدم نقصه، و(الْمُخْسِر) البائع الغاشّ، على وزن اسم الفاعل "مُفعل" المنقص لغيره، الْمُتلاعِب بالمكاييل نقصًا على النَّاس لسلب أموالهم، وغشهم عن طريق بيع غير شرعي، وبخس العباد فيها غبن لمنافعهم، مما يضطّرهم قسرًا إلى التّعامل مع هذا البائع الْمُخْسِر، وفي قوله (من الْمُخْسِرين) تعريض بتجريم ذلك الفعل وأهله، ودلالة على نقص دينهم وتقواهم، وعلى ذلك «أنقصوا أنفسهم أديانها بإخسار النَّاس دنياهم»[2]، فأمرهم شعيب -عليه السَّلام- بأمرين: إيفاء الكيل والوزن بالعدل، ونهاهم بأكثر من نهي؛ أنْ لا يكونوا من المنقصين للكيل، ولا يغبنوا النَّاس، ولا يُفسدوا في الأرض عامّة، فلم يستجيبوا لنبيهم فجاءهم العذاب.

وفي سورة الرّحمن كرَّر لفظ (الميزان) ثلاث مرَّات «تشديدًا للتَّوصية به، وتقوية للأمر باستعماله والحثّ عليه»[3]، وهي آلة الوزن، والميزان: العدل استعارة، فأمَرهم بالعدل وإقامته على الوجه المطلوب، وعدم الطُّغيان في الميزان والظُّلم والتَّعدي، فقال: (ولا تُخْسِروا) يقال: «إذا نقصه فقد خَسَّره، وتخسيره نقصه»[4]، ففيه مضرّة عامّة، وأكل لأموال النَّاس بالباطل.

وفي سورة المطفّفين ابتدأت السُّورة الكريمة بالوعيد بالويل، فقيل: إنَّه واد في جهنّم، وقيل: كلمة يراد بها التَّوعّد[5]، و(المطفّف) الّذي ينقص الوزن في البيع، وغايته سرقة أموال العباد بحجة البيع والشّراء غير الشّرعي، ثمّ وصفتهم السُّورة بأنَّهم يتعاملون بمكيالين، مكيال للشّراء من النَّاس فيزيدون عليه بهتانًا وكذبًا، ومكيال للبيع فيُنقصون على النَّاس الوزن، فبين (اكتالوا) اشتروا بالكيل، و(كالوهم) باعوهم بالثمّن جناسٌ يقود إلى استقبال معاني الشّراء والبيع على ما فيهما من معاني الطِّباق، ويتجلّى بين الفعلين المضارعين في حال الشّراء (يستوفون)، فـ"السّين"، و"التّاء" تدخلان للمبالغة، وحال البيع (يخسرون) طباق، يظهر التَّفاوت والمفارقة العجيبة لحال هؤلاء الغاشمين في الشّراء والبيع، فأظهرت السُّورة المعنى بالطِّباق، وكشفت بالجناس بألفاظها الموجزة الجليّة خداع هؤلاء التُّجار لعامَّة النَّاس.

([1]) الترمذي، محمد بن عيسى، "سنن الترمذي". تحقيق بشار عواد معروف، (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1998م)، 2: 569.

([2]) البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر"، 5: 387.

([3]) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 4: 442.

([4]) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، 22: 15، بتصرف.

([5]) ينظر: المصدر نفسه، 2: 272.

وعند التَّأمُّل في جميع الآيات السّابقة يُلاحظ أنَّ النَّظم القرآني يُشدِّد على إيفاء الكيل بيعًا وشراءً، وعدم التَّطفيف فيه، قال الزَّمخشري: «الكيل على ثلاثة أضرب: واف، وطفيف، وزائد، فأُمِر بالواجب الّذي هو الإيفاء، ونُهى عن المحرّم الّذي هو التَّطفيف، ولم يذكر الزَّائد، وكأنَّ تركه عن الأمر والنَّهى، دليل على أنَّه إنْ فعله فقد أحسن، وإنْ لم يفعله فلا عليه»[1]، فتُركت الزّيادة في الكيل تعريضًا بحال البائعين المتصدّقين، لما فيها من مساعدة المعسرين.

تظهر مادّة (خَسِرَ) في المواضع الثَّلاثة في: (المخسرين) اسم الفاعل، و(تخسروا) مضارع مخاطب بالنَّهي، و(يخسرون) مضارع على حاله، باجتماع ثلّة من التجُّار على أكل أموال النَّاس عن طريق الوزن والمكيال، فجاءت الشّريعة الرَّبانيّة لتمنعهم من ذلك الاحتيال بيعًا وشراءً، وفي دلالة الألفاظ ارتباطها بالمغبون المنقوص حقه، فهؤلاء المتلاعبون بالميزان مُخسرون لحقوق العباد بمطالبتهم أموالًا إضافية، ويُخسرون الوزن المناط وزنه، والنَّتيجة ما كان لهم يستوفونه من البائع بالزّيادة، وما كان لغيرهم ينقصونه بغبن المشتري حقه، فخسروا بأفعالهم ميزان أعمالهم وجزائهم يوم القيامة[2]، فدَلَّ مقام الأحكام التَّكليفيّة أنَّه كان ملهمًا في خصوصيات ودلالات مادّة (خَسِرَ) في الأمر بالعدل والنَّهي عن الظلم، فتجلَّت تلك المعاني بدلالاتها الخصبة؛ لتُعضِّد الدّلالة اللّفظية بالمعاني المتدّثرة خلف تلك الألفاظ المعجزة.

ومن المهم ذِكره في ختام هذا المبحث أنَّ النَّظم القرآني اتّسم بلاغيًا بدلالات متنوّعة لمادّة (خَسِرَ)، فجاءت في مقام عظمة الخالق لتدلّ على معنى إهلاك جسد النَّفس وتحطيمه، وإهمال العقل وإتلافه، وإقحام النَّفس النَّار يوم القيامة فضيّعوا أنفسهم بكفرهم، وفي مقام القصص القرآني دلّت على التّفريط في حماية الأخ، وإهلاك النَّفس والعقل بحماية الشّرك -الأصنام- وإحراق الفَضيلة -إبراهيم عليه السَّلام-، والخيبة في المقصد، وترك الحق بإتباع من له مال وأولاد فخابت أعمالهم وضاعت أنفسهم في الآخرة، وفي مقام الوعد والوعيد دلّت باختلاف الصّيغ الصّرفيّة على أنّ من قام بأعمال الضَّلالة وصدّ النَّاس عن سبيل الله، والسّعي في الأرض فسادًا، بأنَّه أكثر هلاكًا وأخْسَرها لنعيم الجنَّة، من حال من اتبع الضَّلالة فحسب، فلم ينشرها ولم يدافع عنها، فحاله ضائعة وخائبة، لكنَّ الأوّل أخْسَر منه، وفي مقام التَّوجيه والوعظ والإرشاد دلّت بالمقابلة بين شاهدين، على أنَّه من اتبع أربع مهلكات يأمر بها الشَّيطان، فقد هلك وضيّع نفسه وأوبقها النَّار بتأكيد الفعل مع المصدر، ومن اتبع أربع منجيات يأمر بها الله -جلّ جلاله- فإنَّ الإنسان لن يُهلك نفسه وسيربح الآخرة وسعادتها، وفي مقام الأحكام التَّكليفيّة دلَّت على خيبة من ظلم في المكاييل والأوزان، وهلاك من يبخس النَّاس أموالهم، دون مراقبة لمن أقام العدل في السَّماوات والأرض، فكان لورود مادة (خَسِرَ) في كل المقامات المعنية الأثر الدّلالي واللّغوي والبلاغي، وظهر من خلالها لطائف إعجازية وسمات بلاغيَّة دقيقة، مناسبةً للمقام الاستعمالي الّذي تجلت من خلاله.

ولعلَّ الباحث بعد توفيق الله -جلّ جلاله- قد وُفِّقَ لِتوخِّي سُبل الاستقصاء والتّتبّع والتّحليل والاستنباط للمقامات الاستعمالية لمادتي (كَسَبَ)، و(خَسِرَ) في النَّظم القرآني المعجز الخالد، حتى يخرج بجزء بسيط من كنوز خصائصه البلاغيَّة، على ما في التَّحليل من المعاناة والمكابدة في التماسها، والله صاحب الفضل والتَّوفيق لما شرح صدري وأنار عقلي، وأستغفره من كل خطأ وزلل وقصور.

([1]) الزمخشري، محمود بن عمرو، "الكشاف"، 3: 332.

([2]) ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر"، 7: 376.

الخاتمة

خلصت الدِّراسة -بعد عرض مباحثها- إلى نتائج متنوَّعة، من أبرزها:

1 – أدت البلاغة التركيبية والبيانية والبديعية إلى دور هام ومحوري في تدعيم المعاني المقصودة وفقًا للمقامات المذكورة من خلال التحليلات البلاغية في هذه الدراسة.

2 - تنوَّعت المقامات الاستعمالية لمادّتي: (كَسَبَ)، و(خَسِرَ) في المقامات المذكورة طبقًا لمقتضى الحال والسّياق الّذي وَرَدَتْ فيه.

3 - جاءت مادّة (كَسَبَ) بكل تقليباتها اللُّغويّة والصّرفيّة في النَّظم القرآني في أربعة وستين موضعًا، وثمّان وخمسين آية، وخمس وعشرين سورة، بينما وَرَدَتْ مادّة (خَسِرَ) بكل تقليباتها اللُّغويّة في ثلاثة وستين موضعًا، وستين آية، وخمس وثلاثين سورة.

4 - أبانت ألفاظ النَّظم القرآني عن استعمال مادّتي: (كَسَبَ)، و(خَسِرَ) بالفعل الماضي والمضارع، أمَّا فعل الأمر فلم يرد من المادّتين إطلاقًا.

5 - لم ترد الأسماء من مادّة (كَسَبَ)، لكنّها وَرَدَتْ من مادّة (خَسِرَ).

6 - أسبغت التَّنوُّعات الصّرفيّة والتَّراكيبيّة في صيغ مادّتي (كَسَبَ)، و(خَسِرَ) مع المقامات المختلفة والمتعدِّدة في النَّظم القرآني دلالات متكاثرة، وارتبطت بلاغيًا بالمقامات في تحقق الثَّراء المعنوي، وذلك في الآتي:

أ - جاءت مادّة (كَسَبَ) في مقام عظمة الخالق في الكون وقدرته في تسع آيات؛ لترسيخ الإيمان ببعض أسماء الله تعالى وصفاته؛ كالوحدانيّة وعلم الغيب، والمغفرة والرَّحمة والحلم، والخلق والحكم بالعدل، بينما وَرَدَتْ مادة (خَسِرَ) في المقام نفسه في أربع آيات، مظهرة ملكوت الله -جلّ جلاله- لكل شيءٍ، وقدرته المحكمة في الكون.

ب - وَرَدَتْ مادّة (كَسَبَ) في مقام القصص القرآني في ثلاث آيات بيّنات متمثلةً هلاك قوم عاد وثمّود، وقصّة فرار بعض أصحاب النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- في معركة أحد، بينما جاءت مادّة (خَسِرَ) في المقام نفسه في أربعة عشر آية، مظهرة قصّة نوح وصالح وإبراهيم وشعيب وموسى -عليهم السَّلام- مع أقوامهم، وقصّة يوسف -عليه السَّلام- مع أبيه وإخوته؛ لتنبأنا تلك الآيات بمن خسرت أعمالهم.

ت - تجلّت مادّة (كَسَبَ) في مقام الوعد والوعيد، في سبع وعشرين آية، وكان مقام الوعيد أكثر ورودًا من مقام الوعد، كالوعيد بالنَّار، وحال الكفَّار والمنافقين، وإصابة الكفَّار بالعقوبات في الدُّنيا والآخرة، وجزاء المحسن والمسيء، بينما وَرَدَتْ مادْة (خَسِرَ) في المقام نفسه في ثمّاني عشرة آية، ولم تأت في مقام الوعد؛ لأنَّه لا يجتمع التَّرغيب مع الخسران، فبيّنت مادّة (خَسِرَ) خسارة الكفَّار وأهل الضَّلال، ودلّت بالخسران على نقضهم عهد الله وكفرهم بالقرآن، وقَتْل الأولاد جهلًا، والوعيد بعدم الشَّفاعة فيهم وعدم عودتهم الى الدُّنيا.

ث- وَرَدَتْ مادّة (كَسَبَ) في مقام التَّوجيه والوعظ والإرشاد في ست عشرة آية؛ كعدم إبطال الصَّدقة بالمنّ والأذى، وعدم الصَّدقة من الخبيث، والصّبر على أذية المشركين، وعدم الاستخفاف بالأيمان، بينما وَرَدَتْ مادّة (خَسِرَ) في المقام نفسه في عشرين آية؛ كعدم طاعة الكفَّار، وعدم تبعية أهل الضَّلال، وعدم الاغترار بالدُّنيا، وعدم طاعة الشَّيطان إجمالًا، فهو قائد الضَّلال والأماني الزّائفة، وعدم اتخاذه وليًا وحبيبًا، فهذه المهلكات في سورة النِّساء تقود إلى الخُسران، وبيَّنت سورة العصر أمورًا مُنجيات من (الخُسْر) توجيهًا وتذكيرًا.

ج - لم ترد مادّة (كَسَبَ) في مقام الأحكام التَّكليفيّة إلّا في آية إقامة حدِّ السَّرقة في سورة المائدة، بينما وَرَدَتْ مادة (خَسِرَ) في المقام نفسه في أربع آيات؛ وذلك في سورة الشُّعراء والرّحمن والمطفّفين، وكُلُّها في الأمر بحفظ أموال العباد، والقسط في المعاملات الشِّرائيّة، وعدم غش النَّاس وبخسهم حقوقهم وسرقة أموالهم وإنقاص الموازيين.

وتوصي الدّارسة بـ:

1 – مزيد من التطبيقات البلاغية لهذه المقامات وغيرها على المفردات القرآنية.
2 - جمع مادتي "كسب" و"خسر" من الأحاديث النبوية ودراستهما دراسة بلاغية وفق كل مقام.
3 - التوجه بالبلاغة القرآنية إلى الجانب المقاصدي الذي يبرز غايات النظم القرآني، ويحتاج إلى مزيد من الدرس والبحث، ونرجو من الله تعالى التوفيق للباحثين لخوضه وكشف أسراره.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

الاستراباذي، محمد بن الحسن الرضي، "**شرح كافية ابن الحاجب**". وضع هوامشه إميل يعقوب، (ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2006م).

الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالرَّاغب، "**المفردات في غريب القرآن**"، تحقيق صفوان داودي، (ط1، دمشق بيروت: دار العلم الدار الشامية، 1412هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل، "**الجامع الصحيح**". (ط1، القاهرة: دار الشعب، 1987م).

البقاعي، إبراهيم بن عمر، "**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**". تحقيق عبد الرزاق المهدي، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، "**التحرير والتنوير**". (ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2000م).

ابن عطيّة، عبد الحق بن أبي بكر غالب، "**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**". تحقيق عبد السَّلام بن عبد الشّافي، (ط1، بيروت: دار الكتاب العلمية، 2001م).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، "**معجم مقاييس اللغة**". تحقيق: عبد السَّلام هارون، (دط، دمشق: دار الفكر، 1979م).

ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر، "**بدائع الفوائد**". تحقيق: علي بن محمّد العمران، (ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1425هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم، "**لسان العرب**". (ط1، بيروت: دار صادر، 2000م).

التِّرمذي، محمد بن عيسى، "**سنن الترمذي**". تحقيق بشار عواد معروف، (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1998م).

الخطّابي، حَمْد بن محمد، "**بيان إعجاز القرآن**". ضمن "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني". تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، (ط5، القاهرة: دار المعارف، 2008).

الزَّمخشري، محمود بن عمرو، "**أساس البلاغة**". (ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م).

السّعدي، عبد الرحمن بن ناصر، "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**". تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط1، الرياض: مؤسسة الرسالة، 2000م).

سيبويه، عمرو بن عثمّان، "**الكتاب**". تحقيق عبد السَّلام محمد هارون، (ط2، القاهرة: مكتب الخانجي، 1982م).

الطَّبراني، سليمان بن أحمد، **"المعجم الأوسط"**. تحقيق: طارق بن عوض الله، (دط، القاهرة: دار الحرمين، 1415ه).

الطَّبري، محمد بن جرير، **"جامع البيان في تأويل القرآن"**. تحقيق أحمد شاكر، (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م).

الفرّاء، يحيى بن زياد، **"معاني القرآن"**. تحقيق مجموعة من المحققين، (ط1، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، د ت).

النحَّاس، أحمد بن محمد، **"معاني القرآن الكريم"**. تحقيق محمد علي الصابوني، (ط1، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1409ه).

النَّيسابوري، مسلم بن الحجاج، **"المسند الصحيح"**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ت).

Translation of Arabic References:

al-Qur’ān al-Karīm.

Al-Istrabadhi, Muhammad bin al-Hassan al-Radhiy, "Sharh Kafiyat Ibn al-Hajib", footnoted by Emil Yaqub, (1st ed., Beirut: Arab History Establishment, 2006).

Al-Isfahani, al-Hussein bin Muhammad, known as a-Raghib, "Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an", edited by Safwan Dawudi, (1st ed., Damascus, Beirut: Dar al-Ilm, al-Dar al-Shamiyyah, 1412 AH).

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, "Sahih al-Jami'". (1st ed., Cairo: Dar al-Sha'b, 1987).

Al-Biqa'i, Ibrahim bin Umar, "Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar", edited by Abdurrazzaq al-Mahdi, (1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1995).

Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir bin Muhammad, "Al-Tahrir wa al-Tanwir". (1st ed., Beirut: Arab History Establishment, 2000).

Ibn Atiyyah, Abdul-Haqq bin Abibakr Ghalib, "Al-Muharrar al-Wajeez fi Tafsir al-Kitab al-Aziz", edited by Abdus-Salam bin Abdus-Shafi, (1st ed., Beirut: Dar al-Kitab al-Ilmiyyah, 2001).

Ibn Faris, Abu al-Hussein Ahmad, "Mu'jam Maqaayees al-Lughah", edited by: Abdus-Salam Haroun, (1st ed., Damascus: Dar al-Fikr, 1979).

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad bin Abibakr, "Badai'e al-Fawa'id", edited by: Ali bin Muhammad al-Imran, (1st ed., Makkah al-Mukarramah: Dar Alam al-Fawa'id, 1425 AH).

Ibn Manzur, Muhammad bin Mukrim, "Lisan al-Arab". (1st ed., Beirut: Dar Sadir, 2000).

Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa, "Sunan al-Tirmidhi", edited by Basshar Awad Ma'rouf, (1st ed., Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1998).

Al-Khattabi, Hamd bin Muhammad, "Bayan I'jaz al-Qur'an", printed among "Three treatises on I'jaz al-Qur'an by al-Rummani, al-Khattabi and Abdul-Qahir al-Jurjani", edited by: Muhammad Khalafullah Ahmad and Muhammad Zaghloul Sallam, (5th ed., Cairo: Dar al-Ma'arif, 2008).

Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Umar, "Asas al-Balaghah". (1st ed., Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 2001).

Al-Sa'di, Abdurrahman bin Nasir, "Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan", edited by Abdurrahman bin Mu'alla al-Luwaihiq, (1st ed., Riyadh: Al-Risalah Establishment, 2000).

Sibawayh, Amr bin Uthman, "Al-Kitab", edited by Abdussalam Muhammad Haroun, (2nd ed., Cairo: Al-Khanji Office, 1982).

Al-Tabarani, Sulaiman bin Ahmad, "Al-Mu'jam al-Awsat", edited by Tariq bin Awadullah, (1st ed., Cairo: Dar al-Haramain, 1415 AH).

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, "Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an", edited by Ahmad Shakir, (1st ed., Beirut: Al-Risalah Establishment, 2000).

Al-Farra, Yahya bin Ziyad, "Ma'ani al-Qur'an", edited by a group of editors, (1st ed., Egypt: Dar Al-Masriyyah for Authorship and Translation, n.d.).

Al-Nahhas, Ahmad bin Muhammad, "Ma'ani al-Qur'an al-Karim", edited by Muhammad Ali al-Sabuni, (1st ed., Makkah: Umm al-Qura University, 1409 AH).

Al-Naysaburi, Muslim bin al-Hajjaj, “Al-Musnad al-Sahih”, edited by Muhammad Fu'ad Abdul-Baqi, (1st ed., Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-Arabi, n.d.).

ملحق (الآيات القرآنية المختارة) مصدر الدّراسة

الآية الكريمة	السّورة
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	[البقرة:225]
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	[آل عمران:155]

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾	[النساء:119]
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	[المائدة:38]
﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾	[الأنعام:3]
﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	[الأنعام:12]
﴿أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾	[هود:21]
﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾	[هود:22]
﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾	[يوسف:14]
﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	[إبراهيم:51]
﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	[النحل:109]
﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾	[الأنبياء:70]
﴿ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ﴾	[الشعراء:181]
﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	[غافر:17]
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾	[الرحمن:9]
﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾	[نوح:21]
﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾	[المطفِّفين:3]
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	[العصر:2]